

بحث بعنوان:

قراءة في خريطة الصراع في سوريا
بين لغة السلاح والحل السياسي

من إعداد:

أ. محمد الخلوقي

مركز برق للأبحاث والدراسات

الفهرس:

4	مقدمة
6	الفصل الأول: الحرب في سوريا ومسبباتها.....
7	المبحث الأول: الثورة السورية وشرارة النزاع المسلح.....
7	كرنولوجيا الثورة السورية.....
9	من ثورة سلمية إلى صراع مسلح.....
12	المبحث الثاني: تطور الثورة السورية إلى ساحة حرب مفتوحة بين الجماعات المسلحة والنظام.....
12	ماهية النزاع المسلح في سوريا
16	الثورة السورية والانتقال إلى التدويل.....
24	الفصل الثاني: ماهية الصراع في سوريا ومستقبله.....
25	المبحث الأول: خريطة التنظيمات المسلحة في سوريا وأهدافها.....
	المبحث الثاني: انعكاس الصراع في سوريا على الوضع السياسي والاجتماعي لسوريا والمنطقة
31	العربية.....
31	الأزمة السورية ومشكلة اللاجئين

35	الوضع الاقتصادي في سوريا الحرب
38	تأثير الحرب السورية على الدول العربية والإقليمية
42	الفصل الثالث: فرصة الحل السياسي في سوريا وإمكانية نجاحه
43	المبحث الأول: دور التشكيلات العسكرية والمنظمات المدنية في الانخراط في الحل السياسي
43	المفاوضات وبداية الطريق للحل السياسي
45	انقسام التنظيمات في النزاع السوري وانعكاسه على العملية السياسية
48	المبحث الثاني: دور الأمم المتحدة والدول المعنية في الصراع السوري في إنهاء الحرب
48	الأمم المتحدة ودورها في وقف النزاع السوري
52	دور الدول الكبرى والإقليمية في وقف الحرب في سوريا
55	خاتمة
55	التوصيات
75	لائحة المراجع

مقدمة:

لقد عرف العالم العربي بداية عام ٢٠١١، هبات شعبية واحتجاجات تمردت فيها الشعوب على حكامها، ثُوِّجت بثورات اهتزت فيها عروش الحكام الذين عمَّروا في الحكم سنوات طويلة وحكموا بقبضة من حديد، سنوات لم تتذوق فيها الشعوب غير القمع والبطؤ دون أي تطور أو تقدم يعود بالنفع على الدول العربية، حيث اشتعلت الثورة التونسية وأشعلت معها ثورات دول أخرى كمصر وليبيا واليمن وسوريا.

سوريا التي أبت إلا أن تكون ثورتها مميزة عن باقي الدول العربية، حيث انتقلت الثورة السورية التي كانت تحمل شعار "سلمية سلمية" إلى الثورة الأكثر دموية، إذ قابل النظام السوري الجماهير المتظاهرة بالرصاص الحي والقتل والتعذيب، ومارس عليه أبشع أنواع الجرائم التي ترقى إلى جرائم ضد الإنسانية، سوريا التي لم يستطع الحكام الأتراك والفرنسيون إذلال شعبها وترويضه حسب شهادة العميل "مايلز كوبلاند" في كتابه "لعبة الأمم"، في حين أذل الأسد شعبها وشرده فأصبح نصف الشعب السوري لاجئاً في الخارج، والباقي يعيش تحت رحمة التنظيمات المسلحة والبراميل المتفجرة.

نحاول في هذا البحث رصد مختلف الأسباب التي جعلت من الثورة السورية صراعاً دموياً عنيفاً، وبحث خريطة الصراع في سوريا ومحاولة الإحاطة بجوانبه، وذلك بطرح الإشكاليات التالية: ما هي أسباب الثورة السورية؟ وكيف انتقلت من ثورة سلمية إلى ثورة مسلحة ثم إلى حرب مختلطة المعالم؟ وكيف ساهم موقع سوريا في قلب الشرق الأوسط من تأجيج الصراع الدولي على أرضها؟ وما هي الأدوار التي تلعبها الدول الكبرى والإقليمية في الصراع السوري؟ وما هي السبل الكفيلة بإخراج سوريا إلى بر الأمان وإيجاد حل سياسي للأزمة؟

حيث سنحاول الإجابة على الإشكاليات المطروحة بإتباع المنهج التركيبي والتحليلي، بنظرة واقعية تنظر إلى السياسة الدولية كصراع من أجل السلطة والنفوذ، وإلى القوة كضامن للسيادة وخدمة الدولة حسب مؤسس المدرسة الواقعية "هانز مورغنتاو"، وذلك بسلك خطة البحث التالية:

الفصل الأول: الحرب في سوريا ومسبباتها.

المبحث الأول: الثورة السورية وشرارة النزاع المسلح.

المبحث الثاني: تطور الثورة السورية إلى ساحة حرب مفتوحة بين الجماعات المسلحة والنظام.

الفصل الثاني: ماهية الصراع في سوريا ومستقبله.

المبحث الأول: خريطة التنظيمات المسلحة في سوريا وأهدافها.

المبحث الثاني: انعكاس الصراع في سوريا على الوضع السياسي لسوريا والمنطقة العربية.

الفصل الثالث: فرصة الحل السياسي في سوريا وإمكانيات نجاحه.

المبحث الأول: دور التشكيلات العسكرية والمنظمات المدنية في الانخراط في الحل السياسي.

المبحث الثاني: دور الأمم المتحدة والدول المعنية في الصراع السوري في إنهاء الحرب.

الفصل الأول: الحرب في سوريا ومسبباتها.

لم يكن أكثر المتفائلين يتوقع أن تمر الثورة السورية بسلام على الشعب السوري، لكن لم يكن أكثرهم تشاؤماً يتوقع أن تصل إلى هذا المستوى من العنف والتقتيل، وذلك راجع إلى الخذلان العربي والدولي للشعب السوري، فعلى مدار الأربع سنوات لم يتحرك المجتمع الدولي ممثلًا في مؤسسته الأكبر الأمم المتحدة أو الدول الكبرى الخم من أجل نصرته الشعب السوري إلا في مناسبات محسوبة ومحتشمة ودون حماسة، وذلك رغم بداية الثورة السلمية والتي حركها المدنيون السوريون، الذين واجههم النظام بكل وحشية وبما يملكه من قوة.

لقد انتقلت الثورة السورية من ثورة سلمية مطالبة بنظام حكم مدني وديمقراطي يتيح للشعب السوري العيش في حرية، إلى ثورة مسلحة سرعان ما ساعدت الجغرافيا السياسية لسوريا على تحولها إلى حرب أهلية طائفية، ثم حرب متعددة الأقطاب ومختلطة المعالم.

المبحث الأول: الثورة السورية وشرارة النزاع المسلح.

بعد عقود من الزمن أحكم فيها الحكام العرب قبضتهم على السلطة وتفننوا في أساليب تطويعهم للشعوب، عقود لم يَجَن منها المواطن العربي إلا التجويع والخوف، وتعوده على هضم الحقوق والعيش على الفتات وما يوجد به الحاكم، تحرك الماء الراكد وانهار جدار الصمت، وانتفضت الشعوب العربية من أجل استرجاع ما ضاع منها وحفظ ما بقي من كرامة ونخوة عربية، فثارت الشعوب العربية في وجه حكامها بداية من تونس فمصر وليبيا واليمن إلى سوريا التي عاث فيها نظام الأسد فساداً من الأب إلى الابن، في تحول فريد في الأنظمة العربية من جمهورية رئاسية إلى جمهورية رئاسية وراثية، وكأن النُخب السياسية في الدول العربية لا تستطيع إنتاج من يتقلد الحكم وقيادة الدولة.

١- كرنولوجيا الثورة السورية:

لقد حظيت الثورة السورية باهتمام كبير من طرف المتتبعين العرب وغيرهم من دول المنطقة والعالم، وذلك بالنظر إلى طول عمرها وانعطاف أحداثها، حيث كانت تطورات الأحداث السورية وتداعياتها جزءاً من اهتمامات المواطنين في المنطقة على اختلاف فئاتهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية، فالأحداث التي تقع في سوريا لها تأثير على مستقبل سوريا والمشرق العربي والمنطقة العربية؛ لارتباط سوريا المباشر بالمقاومة ومحور الممانعة في الصراع العربي الإسرائيلي حول القضية الفلسطينية^١.

اندلعت التظاهرات في سوريا في مارس ٢٠١١م، بشكل سلمي ضد القمع والفساد وكبت الحريات، كما أن تعامل السلطات السورية مع أطفال وشباب سوريا الذين تجرؤوا على معارضة النظام ولو بكتابات حائطية باعتقالهم وتعذيبهم، أجاج الأوضاع وعجل بمطالبة السوريين بضرورة إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية من أجل العيش في كرامة وحرية، حيث ووجهوا بالقمع والرصاص الحي من طرف أجهزة النظام من مخابرات وشرطة وجيش وأجهزة أخرى ظهرت للوجود مع ثوران الشعب السوري، مقابل هذا التصعيد تطورت مطالب الشعب السوري إلى "إسقاط النظام"، حيث

^١ - محمد المصري، "اتجاهات الرأي العام في المشرق العربي نحو الأزمة السورية"، مقال منشور على مجلة سياسات عربية، عدد ١ مارس ٢٠١٣، ص ١٣١.

انطلقت شرارة الاحتجاجات من درعا إلى اللاذقية ودوما ومختلف المدن السورية، ومن تم أخذت الثورة السورية منحى آخر مظاهرات شعبية سلمية وقمع عسكري مسلح لإخمادها، فتعددت المظاهرات التي عمّت سوريا تحت مسميات عديدة وفتحت السجلات من أجل إحصاء عدد الشهداء والقُتلى^٢.

لقد توالى الدعاوات والضغوط على النظام السوري وبشار الأسد من أجل الاستجابة لمطالب الشعب السوري، حيث جاءت النداءات من دول الجوار كتركيا والسعودية ودول أخرى خارج المنطقة كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا، حيث اتخذت تلك الدول عدة إجراءات عقابية ضد نظام الأسد، وحاولت استصدار قرار من مجلس الأمن الدولي للضغط عليه، غير أن تلك الضغوطات لم تكن في مستوى تطلعات الشعب السوري إلى حد اتهام المجتمع الدولي بالتواطؤ من أجل تفتيت الدولة السورية.

كما طالب المجلس السوري الوطني المعارض – ويتكون من ٢٣٠ عضواً يمثلون جميع الحساسيات السياسية المعارضة للنظام السوري – طالب بتدخل الأمم المتحدة والمجتمع الدولي لحماية المتظاهرين المدنيين من القتل الممنهج، الذي يمارسه نظام الأسد في حق الشعب السوري، حيث اعتبر المجلس أن تدخل الأمم المتحدة والمجتمع الدولي يمكن أن يكون على شكل إنشاء منطقة عازلة أو منطقة حظر جوي بموجب قرار من مجلس الأمن على غرار ما جرى في ليبيا، غير أن معارضة الصين وروسيا أحبطت كل تلك المحاولات، متشبثين بالرئيس الأسد وأطروحاته حول الصراع القائم في سوريا على أنه مجرد ثورة "الإرهابيين".

شكّلت معارضة روسيا والصين لاتخاذ قرارات مضادة للنظام السوري وتهديد الدولتين باستخدام حق الفيتو، دعماً لمواصلة آلة القتل السورية في حصد المزيد من الأرواح دون أي اعتبار لمجلس الأمن، كما أدرك المتظاهرون في الشارع السوري أن عليهم مواجهة مصيرهم بأيديهم رغم المساندة من دول فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية،

^٢ - الثورة السورية. www.ar.m.wikipedia.org/wiki

^٣ - د. يوسف البحيري، نظام الأمم المتحدة في مواجهة تحولات الربيع العربي، المطبعة الوطنية مراكش، طبعة أولى ٢٠١٢، ص ٢٤٦.

والتي لم ترق إلى مستوى المساندة التي تقدمها روسيا لنظام الأسد، ربما لمعرفة تلك الدول جدية التهديد الروسي في حال اتخذت موقفاً سياسياً أو عسكرياً ضد الرئيس السوري.

لقد تقدمت الدول الأوروبية الأعضاء في مجلس الأمن بمشروع قرار ضد سوريا يسعى لاتخاذ عقوبات دولية ضد نظام الأسد، وذلك بعد عمليات التقتيل الممنهج والتي أسفرت عن سقوط آلاف القتلى من المدنيين، جاء مشروع القرار الأوروبي الذي تقدمت به بريطانيا وفرنسا وألمانيا والبرتغال، في أجواء عامة داخل مجلس الأمن سادها حالة من الانقسام وعدم الاتفاق حول إصدار قرار دولي لإدانة النظام السوري وفرض عقوبات دولية في حقه، حيث عمل هذا المشروع على إحراج الموقف الروسي والصيني وتكثيف المساعي الدولية لإدانة النظام السوري بشأن الجرائم ضد الإنسانية، واستعمال القوة المفرطة ضد شعبه الأعرل. لقد دفع ذلك الاتحاد الأوروبي لدراسة إمكانية فرض عقوبات اقتصادية تستهدف الشركات السورية للضغط على النظام.

٢- من ثورة سلمية إلى صراع مسلح.

عرفت الثورة السورية منعطفاً جديداً في شهر يوليو من عام ٢٠١١م، وذلك بتأسيس "الجيش السوري الحر"^٤ أعلن عنه ضباط منشقون عن الجيش العربي السوري لحماية المتظاهرين السوريين، حيث بدأت الثورة السورية تأخذ منحى مسلحاً متوارياً مع المساعي السياسية التي يقوم بها "المجلس الوطني السوري"، فبدأ عدد المنشقين يتزايد مع تصاعد هجمات الجيش النظامي على المتظاهرين المدنيين وحصار المدن، كما قررت جامعة الدول العربية في اجتماع لوزراء الخارجية العرب بأغلبية ساحقة تعليق عضوية سوريا في الجامعة من يوم الأربعاء ١٦ / ١١ / ٢٠١١م لاستمرارها في قمع المحتجين.

تطورت الثورة السورية من مطالبة شعب بتقرير مصيره من نظام لم يعد يمثله، إلى خروج الجماهير لمطالبة الرئيس بالرحيل، حيث كان ذلك بمثابة إعلان سقوط الشرعية عن نظام حكم لعقود بقبضة من حديد، مستعملاً جميع أنواع

^٤ - تأسس الجيش السوري على يد ضباط منشقين عن الجيش النظامي السوري، تحت قيادة العقيد المنشق رياض موسى الأسعد. Ar.m.wikipedia.org/wiki

القمع والتركيع للشعب، فـ"تقرير المصير" لا يشمل فقط الدول الخاضعة للاستعمار بل هو في مفهومه العميق أن يقرر السكان المحليين شكل السلطة التي يريدونها وطريقة تحقيقها دون أي تدخل خارجي على أساس ألا يؤدي ذلك إلى تمزيق وتهديد الوحدة الترابية للدولة، وذلك حسب التوصية ٢٦٢٥ الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢٤ / ١١ / ١٩٧٠م، فمفهوم "تقرير المصير" معني به الشعب في الدرجة الأولى لا السلطة الحاكمة، فنظام الأسد كان مشروعياً قبل الثورة بغض النظر عن الطريقة التي وصل بها إلى الحكم، لكنه فقد الشرعية بعد مطالبة الجماهير برحيله ومع أول رصاصة أطلقها على شعبه.

لقد بدأت الثورة السورية على شعار المواطنة والحرية والديمقراطية ومدنية الحكم وسيادة القانون، على أن يكون هو الفاصل بين مختلف الشعب السوري، ولم تكن الثورة السورية في بدايتها تحمل أي ملامح دينية وخاصة إسلامية أو إحياء دولة الخلافة، حيث كان مطلب الشعب السوري هو الحرية والتخلص من الاستبداد، حيث لم يتوقع أحد خروج المتظاهرين مرددين شعار "حرية للأبد رغماً عنك يا أسد"، لأنه لطالما اعتبر النظام السوري أنه لا يوجد في سوريا شعب، وأنه لن تشهد ثورة، حيث كان "الأسد" يراهن على المليون سوري الموجودين في الجيش والأمن والشرطة وجهاز "الشبيحة"، والثلاث ملايين في الحزب، مما جعل الرئيس السوري في حديث له مع جريدة "وول ستريت جورنال" في ٢١ يناير ٢٠١١م قبل الثورة بأسابيع، ينفي أن تقوم ثورة في سوريا^٥.

فتحويل الثورة السورية من ثورة سلمية إلى قتال مسلح ذي طابع طائفي كان أمراً مقصوداً، فالضغط الذي واجهه المتظاهرين وقوة السلاح الذي اعترض مظاهراتهم كان يراد منه أمرين اثنين: إما حمل السلاح أو الاستسلام، حيث يقول الدكتور "مشيل كيلو" أن خطة جعل الثورة السورية ثورة أصولية، كانت خطة بسيطة وضاربة بتحويل ثورة سلمية تماماً، هدفها الوحيد الحرية، تتم باسم شعب سوري واحد، إلى اقتتال مسلح يأخذ طابعاً طائفيًا تدريجيًا وذلك بفصل المجتمعين المدني والأهلي أحدهما عن الآخر، فيتم تحييد الأول المتمثل في الشباب والمثقفين وتعريضه لعمليات قتل ممنهج، والضغط في الوقت نفسه على الثاني بقوة السلاح وبأشكال متنوعة ومستمرة من العنف، إلى

^٥ - د. ميشيل كيلو، رهانات صعبة: حسابات موسكو تجاه الصراع في سوريا، مقال منشور على مجلة السياسة الدولية، عدد ١٩٥ يناير ٢٠١٤. ص ١٠١.

أن يضطر إلى حمل السلاح والدفاع عن نفسه، وبأيدولوجيته التقليدية المذهبية السمات، التي يجب أن تحل محل مطالبته بالمواطنة، والحرية، والدولة المدنية الطابع، والديمقراطية...^٦

لقد ساهم الوضع الذي تعيشه العراق في تأجيج الأوضاع في سوريا، فبمجرد انطلاق شرارة السلاح وانشغال الجيش السوري بالثورة وقمعها عوضاً عن انشغاله بحماية حدود الدولة، كما فعل الجيش التونسي الذي ضل محايداً طوال فترة ثورة الياسمين، انقضت الجماعات المتطرفة على الثورة السورية وزودتها بالسلاح والمقاتلين، فتعقدت الأمور في الميدان، وانقسمت الساحة السورية إلى ساحة متعددة الأطراف كل طرف يسعى إلى الركوب على الثورة وتحقيق ما ينشد إليه من أحلام في دولة محورية في قلب الشرق الأوسط، كما أن الموقع الجيوبوليتيكي لسوريا في منطقة الهلال الخصيب لم يساعد الثورة على أن تكمل مسارها كما بدأت، فسوريا محط أطماع استعمارية قديمة وجديدة وتتحين لها الدول الكبرى الفرصة، فإغراق الساحة السورية في حرب مسلحة كان أمراً مقصوداً، فالكل يريد موطئ قدم هناك والسبيل إلى ذلك هو إشعال الحرب، ثم البحث عن حل سياسي يكون فيه النصيب للجميع أو التقسيم، إنها لعبة سياسية قذرة تلعب على الملعب السوري.

^٦ - د. ميشيل كيلو، رهانات صعبة: حسابات موسكو اتجاه الصراع في سوريا، مرجع سبق ذكره، ص ١٠١.

المبحث الثاني: تطور الثورة السورية إلى ساحة حرب مفتوحة بين الجماعات المسلحة والنظام.

بعد أن خرج الشعب السوري مسالماً من أجل المطالبة بتغيير أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تم تحويل ثورته طوعاً من السلمية إلى العسكرية، وذلك بانشقاق "ضباط أحرار" عن الجيش السوري النظامي للدفاع عن الشعب الأعرل، لكن سرعان ما تمكن المتربصون بسوريا واللوبيات التي تقف من الحروب، من جعل سوريا ساحة حرب غير عادية تتصارع فيها جماعات مسلحة ودول تداخلت مصالحها، حيث ذهب الشعب السوري ومطامحه ضحيةً لتلك الصراعات.

١- ماهية النزاع المسلح في سوريا:

لقد أخذت الدول الكبرى موقعها للتفرج فيما يقع في سوريا من اقتتال، ولم تكن مستعجلة في التدخل عسكرياً كما وقع في ليبيا، فسوريا تختلف اختلافاً جذرياً عما وقع في ليبيا حيث أن اللاعبين في سوريا أكثر عدداً وأكبر قوة، كما أن سوريا لها جوار صعب - تركيا وقضية الأكراد، إسرائيل والجولان المحتل، لبنان والهشاشة الأمنية، العراق والاقتتال الدائم - كلها دول حدودها مشتعلة، فأى تدخل أجنبي يجب أن يكون محسوباً ومدروساً، دول متشبثة بالأسد وأخرى لا ترغب فيه، فترك الحسم للميدان وتم التغاضي عن التدخل الإيراني وحزب الله، لإشعال الحرب الطائفية.

كان في إطالة الأمد للصراع السوري غاية ما يُراد أن يصل إليها، خاصة نظام الأسد وروسيا، حيث سينقلب الصراع من شعب يريد الحرية ضد نظام استبدادي، إلى عراق مسلح سيخلق البيئة اللازمة لظهور تيارات أصولية، حيث قام النظام بإطلاق سراح عدد من رموز تلك التيارات من سجونه بعد أشهر من الثورة، الشيء الذي أثار استغراب غالبية الشعب السوري، ولكن النظام السوري كان يعرف لم أطلق سراح إسلاميين أصوليين دربهم على السلاح و"الإرهاب"، ويعرف هويتهم وغايتهم وذلك بعد نشوب ثورة ضده، فالسبب الحقيقي وراء ذلك جعلها تأخذ موقعاً في الثورة، وأن تحارب باسم إسلام متشدد ضد علويين، ويسيطروا على النخبة المدنية القائدة للثورة وإجبار الشعب السوري على حمل السلاح، كما يجب أن يبين النظام السوري أن ما يجري في سوريا ليس ثورة، بل مؤامرة تورط الشعب فيها، فإطالة أمد

الصراع تعزز فرص الجهاديين الإسلاميين وترجح كفتهم على حساب التيار الديمقراطي، الذي قتل النظام أغلب رموزه وشتت صفوفه، كل ذلك بإيعاز من روسيا حيث زودت النظام بأسلحة مدعية أنها تعود لعقود قديمة يجب الوفاء بها، كما أرسلوا خبراء كان لهم دور كبير في قمع الشعب الشيشاني من أجل اختراق صفوف المعارضة وتشويه سمعتها.^٧

إن تحول الصراع في سوريا من صراع سياسي إلى صراع عسكري بين الجيش النظامي والعشائر المساندة له من جهة، والجيش السوري الحر والتنظيمات الثورية التي تقاتل إلى جانبه من جهة أخرى، قد نقل الثورة السورية إلى مرحلة ما يشبه "الحرب الأهلية"^٨، باستغلال الانتماء الطائفي لجلب واستقطاب المقاتلين والدعم المادي والمالي، وبعد دخول حزب الله وجيش الحرس الثوري الإيراني بشكل واضح، وما تتلقاه الجماعات المسلحة من دعم خارجي خفي وعلني في بعض الأحيان، أصبحنا أمام حرب دولية "مفتوحة" و"مركبة" على الأراضي السورية، تتناثر شظاياها في مناطق مختلفة في المنطقة والعالم، فالقضية السورية اليوم لم تعد مسألة ثورة ضد نظام، بل تعدت ذلك إلى "حرب تتهدد السلم والأمن الدولي".

بدأ الصراع في سوريا يأخذ طابعاً طائفيًا متزايداً، حيث بدأت تنظيمات لادولية تتحول في ظروف الصراع الإقليمي إلى لاعب مهم "Game changer"، فأصبح حزب الله يلعب دوراً محورياً في الصراع السوري، وتحول تنظيم "الدولة الإسلامية" والذي يُعدُّ العدو اللدود للتغول الإيراني في المنطقة، إلى التهديد الأبرز لنظام "سايكس بيكو"، مما جعل الولايات المتحدة تراجع حساباتها في المنطقة وينذر باستئناف تورطها العسكري في المنطقة نتيجة صعود "تنظيم الدولة"، ومراجعة تحالفاتها في المنطقة مع ظهور تباعد تركي-أمريكي مقابل تقارب أمريكي-إيراني^٩، الشيء الذي قد يُغضب حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة ويبعث أوراق الصراع من جديد، فسياسة المصالح لا تعترف بصدقات أو عداءات دائمة.

^٧ - د. ميشيل كيلو، رهانات صعبة، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.

^٨ - الحرب الأهلية: هي الحرب الداخلية التي تدور بين جماعات من سكان نفس الدولة "Guerre Interne"، حيث يصرع كل طرف من أجل الاستيلاء على السلطة، وتكون أسباب الحرب سياسية أو اجتماعية أو عرقية أو دينية أو تلك الأسباب مشتركة، كما يُنظَّم البروتوكول الإضافي الثاني لعام ١٩٧٧ لاتفاقيات جنيف تلك الحرب أو ما يسمى النزاعات غير الدولية.

^٩ - مروان قبيلان، "صعود تنظيم الدولة الإسلامية وتحولات النظام الإقليمي في المشرق العربي"، مقال منشور على مجلة سياسات عربية، عدد ١٢-٢٠١٥ ص ٦.

لقد استولت التنظيمات المسلحة على الثورة السورية لكن دون أن تتبناها، بل تبنت أطروحاتها الأصولية، حتى أصبح الشعب السوري أمام خياراتٍ كلها مريرة، فتارة يجدون أنفسهم تحت سيطرة النظام وقمعه وتارة أخرى تحت تدبّيع وتقتيل الجماعات المتطرفة المسلحة، هذا ما جعلنا نجد أفواجًا من النازحين والمهاجرين، طالبي اللجوء في دول الجوار خاصة تركيا والأردن وأوروبا، ومن لم يحالفه الحظ لا يزال قابلاً تحت رحمة البراميل المتفجرة والعمليات الانتحارية، وسط اتهامات متبادلة بين الأطراف المتناحرة، فنظام الأسد وحلفاءه يدعون محاربة "الإرهاب"، والجماعات المتطرفة تدّعي قتال أعداء الدين، والجيش الحر يتبني أطروحة الثوار.

أصبحت سوريا اليوم شبيهة بלבّان خلال الحرب الأهلية التي دامت خمسة عشر عاماً، أحياء مهجورة وأبنية خالية ومدمرةً بفعل القصف ونييران القنابل، أرض نقات التفتيش والحواجز والحصارات، فحلب التي كانت أكبر مدينة في البلاد، أصبحت في معظمها خالية من السكان، قوات الدولة تتقدم لكن مرهقة دون أن تستطيع استعادة السيطرة على شمال وشرق سوريا ما لم تغلق الحدود الطويلة مع تركيا، كما أن التقدم الذي تحقّقه قوات النظام التي وضعت الجيش الحر والقوات المقاتلة معه التي تعتبر أكثر اعتدالاً، يعزز صفوف الجهاديين على حسابهم، لأنهم يملكون أساساً صلباً مؤلفاً من المقاتلين الذين لا يستسلمون^{١٠}.

إن الصراع الدائر في سوريا حرب بالوكالة، تقوم بها الأطراف المتحاربة نيابة عن اللاعبين الكبار في الشأن السوري، في استبعاد لنشوب حرب بين الدول الكبرى مباشرة والتي تلاقت مصالحها هناك، فافتصر تدخلها على عمليات جوية كلما رأى طرف أن الأمور تمشي عكس مصالحه، حيث يتم إغراق البلاد بالسلح و"المقاتلين"، وتوجيههم عن طريق شبكات التجنيد التي تشتغل داخل وخارج سوريا، فلم يعد الصراع يقتصر على جيش نظامي في مواجهة ثوار، بل اختلطت

^{١٠} - باتريك كوكبيرن، "داعش عودة الجهاديين"، دار الساقي، ترجمة ميشلين حبيب، الطبعة الأولى ٢٠١٥، ص ٩٥.

أوراق خريطة الصراع بين جماعات تضم "مقاتلين أجنب" لهم قناعات أيديولوجية، ومليشيات تدافع عن النظام وتقاتل إلى جانب قواته، وقوات المعارضة.

لقد تعدى عدد "المقاتلين الأجنب" على الساحة السورية عدد المقاتلين الذين يتواجدون في مناطق صراعات في دول أخرى، فالحالة السورية يمكن اعتبارها حالة خاصة، حيث يقدر عدد "المقاتلين الأجنب" بين ثلاثة آلاف وخمسة عشر ألف، ويمكن أن يرتفع العدد إلى عشرين ألف مقاتل، وتتوزع أعداد المقاتلين على مناطق النزاعات المسلحة حيث تضم الساحة العراقية منذ عام ٢٠٠٣ ما بين أربعة وخمسة آلاف "مقاتل أجنبي"، وأفغانستان ما بين ألف وألف وخمسة، تُعدُّ سوريا الدولة التي تضم العدد الأكبر من المقاتلين الذين ينشطون في وقت واحد، بالإضافة إلى ذلك تنحدر الأصول الجغرافية لأولئك المقاتلين إلى عدد لم يسبق أن وُصل إليه وهو حوالي واحد وثمانين دولة^{١١}.

إن من أسباب تكاثر عدد "المقاتلين الأجنب" في سوريا، هو سهولة الدخول إليها، خاصة من جانب عبور الحدود التركية - السورية التي يمكن تجاوزها بدون صعوبة، كما أنه يوجد داخل سوريا الكثير من المناطق محدودة المخاطر التي يمكن للأجنب تجنب الخطوط الأمامية للصراع من خلالها، فحسب البروفيسور "توماس هيغ هامر" مدير "مركز أبحاث الإرهاب" في مؤسسة الدفاع النرويجية يقول: "في أيام الحرب الأولى، كان الدافع الرئيسي المعلن (أريد الذهاب إلى سوريا ومحاربة الأسد دفاعاً عن السنة هناك)، لكن اليوم أصبح الدافع المعلن (أريد الذهاب هناك والعيش في دولة الخلافة)"، وقد استدل على قوله بوجود مواطنين في أوروبا "باعوا كل ما يملكون وأجبروا أطفالهم على ترك المدارس وذهبوا إلى الرقّة، وهدفهم الرئيسي العيش هناك لبقية حياتهم"، ورغم تقدير الشرطة الدولية بأن أربعة آلاف شخص انضموا إلى المليشيات المسلحة في سوريا، إلا أن الكثير من المحللين يرون أن الرقم أعلى بكثير من ذلك، كما يقول "هارون زيلين" باحث في "المركز الدولي لدراسات التطرف" في "كينغس كوليدج" بلندن: أن عدد المقاتلين الذي استطاع تحديده

^{١١} - المقاتلون الأجنب: يطلق هذا المصطلح على المقاتلين غير المواطنين في الدولة ويشاركون في حرب على أرضها، وقد حدد "طوماس هيغ هامر" أربعة شروط من أجل إطلاق هذا المصطلح على المقاتل: ١- ألا يكون مواطناً، ٢- ألا تكون له قرابة مع أطراف النزاع، ٣- ألا ينتمي إلى جهة عسكرية رسمية منخرطة في النزاع، ٤- ألا يكون مقاتلاً مقابل أجر.

سنة ٢٠١٣م هو ثلاثة آلاف وثمانمئة شخص، حيث ارتفع العدد لا محالة بعد أكثر من عام إلى أضعاف مضاعفة. واستقرت تقديرات المركز الدولي لدراسة التطرف والعنف السياسي (ICSR)، على رقم عشرين ألف باعتباره الأقرب للحقيقة اعتماداً على جميع المعلومات المتاحة^{١٣}.

إن تدفق هذا العدد الكبير من المقاتلين الأجانب عن سوريا وشعبها، يجعلنا نستنتج أن اللعبة الدولية كبيرة هناك، وأن توجيه الثورة السورية من مطالبة بتغيير النظام إلى "مستنقع حرب" كان أمراً متعمداً، فالنظام السوري كان يُؤمّن الحدود السورية-الإسرائيلية وكذلك يحمي المصالح الروسية الاستراتيجية في المنطقة، وامتداداً للانتشار الشيعي المتمثل في إيران وحزب الله، فليس من السهل الجمع والحفاظ على التوازن بين هذه المتناقضات من طرف نظام آخر غير نظام الأسد الذي خبر اللعبة السياسية في المنطقة والدور المنوط به فيها، حيث لا يمكن الوثوق بنظام مستقل تأتي به الثورة السورية في دولة مهمة في الشرق الأوسط.

٢- الثورة السورية والانتقال إلى التدويل:

لقد أصبح التدخل الخارجي في سوريا ظاهراً للعيان، حيث يتم التحكم في الحرب السورية عن طريق ما يسمى "زيادة الصراع" "Intensifying conflict"، الذي يلعب فيه الطرف الخارجي دوراً مهماً في تأجيج الصراع ونقله من مستوى إلى آخر، كنقل الصراع من مستوى "النزاع" "disputes" إلى مستوى "الأزمة العنيفة" "Violent conflict" أو الحرب، الشيء الذي ينطبق على سوريا التي تلعب فيها الأطراف الخارجية أدواراً متنوعة، بتنوع نوعية هذه الأطراف، ويرجع هذا التنوع إلى شبكة العلاقات والمصالح التي تربط نظام الأسد بالقوى الإقليمية والدولية كما سبق وأشرنا، حيث لا تقتصر الأطراف الخارجية في الحالة السورية على الدول، إذ أن الفاعلين من غير الدول كحزب الله وغيره من الجماعات المقاتلة هناك سيكون لها دور كبير في تحديد مصير الثورة، خصوصاً بعد تحولها إلى نزاع مسلح^{١٤}.

^{١٣} - كم عدد المقاتلين الأجانب الذين ذهبوا إلى القتال في سوريا؟، مقال صحفي نشر على موقع BBC عربي، ٢ أغسطس ٢٠١٥. www.bbc.com/arabic
^{١٤} - إيمان رجب، حدود التأثير: الأطراف الخارجية وأنماط التدخل في الصراعات الداخلية، مقال منشور على مجلة السياسة الدولية عدد ١٩٥. يناير ٢٠١٤ المجلد ٤٩ ص ٢٨.

لم يقتصر النزاع المسلح في سوريا على صراع بين الجيش النظامي السوري والمليشيات التابعة له وبين الجيش السوري الحر وكذلك الجماعات المسلحة الأخرى، على سبيل الذكر لا الحصر: "جند الشام" و"جبهة النصرة" و"داعش"، بل تعداه إلى تدخل خارجي فعلي جواً وبراً وبحراً، حيث حاولت الدول العربية القيام بتحالف لمحاربة الخطر الذي رأته أكبر، وهو تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، ورغم التناقض في التصريحات الإعلامية التي تدعو الأسد إلى التنحي عن السلطة والكف عن تقتيل الشعب السوري، إلا أن التدخل يكون بحجة محاربة تنظيم "داعش الإرهابي".

لقد دعا أمير دولة قطر الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى التدخل من أجل وقف التقتيل والإبادة التي يتعرض لها الشعب السوري يومياً، بالغازات السامة والبراميل المتفجرة، تلك الدعوة التي وجدت قبُولاً من طرف العديد من الأوساط عربياً وإسلامياً، وقد بقي التدخل العربي في سوريا محط تردد وتعتيم، إلى أن كشفت مصادر أمريكية مشاركة الطائرات العربية الإماراتية والأردنية والسعودية والمغربية في تحالف جوي إلى جانب المقاتلات الأمريكية لمحاربة "داعش" في العراق وسوريا، حيث تأكد ذلك عند أسر الطيار الأردني وإعدامه بالطريقة التي استفزت مشاعر الناس عبر العالم^{١٥}.

منذ توسع الصراع في سوريا والنظام الإيراني لم يتردد في التدخل في الشأن السوري، باعتبار أن "بشار الأسد" يعتبر الحليف القوي والاستراتيجي في المنطقة مع حزب الله اللبناني، فإيران لم تعلن صراحة تدخلها في سوريا في بادئ الأمر، ومع تراجع قوات النظام السوري مقابل تقدم الجيش الحر والجماعات المتحالفة معه، بدأ التدخل الإيراني يتضح مع ظهور قتلى إيرانيين يُقدر عددهم بحوالي أربعمئة قتيل، ادعت الجمهورية الإسلامية الإيرانية أنهم متطوعون شباب تم نشرهم لحماية أماكن العبادة بسوريا، إلا أن سقوط قتلى من العيار الثقيل ينتمون للحرس الثوري الإيراني من ضمنهم الجنرال "حسين همداني"، أكد حجم التدخل الإيراني في سوريا، حيث تعتبر إيران أن سوريا هي امتداد لأمنها

القومي^{١٦}.

^{١٥} - محمود معروف، مصادر أمريكية: المقاتلات المغربية تشارك في الهجمات التي يشنها التحالف على "داعش" في سوريا والعراق، مقال صحفي منشور على موقع القدس العربي بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠١٤. www.alquds.co.uk

^{١٦} - فاتورة التدخل الإيراني في سورية ترتفع وجرالاتها يتساقطون تباعا، مقال منشور على موقع العربي الجديد، بتاريخ ٢٧/١٠/٢٠١٥ www.alaraby.co.uk

لقد ساهم الوضع الذي يعيشه العراق في تسهيل التوغل الإيراني في سوريا، باعتبار التواجد الإيراني في العراق والعلاقة التي تربط بين قادة البلدين بعد سقوط نظام "صدام حسين"، حيث ازداد النفوذ الشيعي في البلد وتأثيره على القرار السياسي بواسطة دعم القادة الجدد ماليًا وعسكريًا وسياسيًا، وتسليح الميليشيات وتدريبها خصوصًا في فترة حكم "نوري المالكي"، فالوضع في سوريا يعزز فرص إيران في إتمام مشروعها التوسعي في المنطقة على غرار ما يجري في البحرين واليمن ولبنان باستغلال الحدود السورية العراقية اللبنانية، التي سهلت التواجد الإيراني في سوريا.

أمام التردد الأمريكي-الغربي في التدخل عسكريًا في سوريا، وكذلك عجز الأمم المتحدة في اتخاذ قرار ضد نظام الأسد، وإجبار الأطراف المتناحرة على الجلوس على طاولة المفاوضات، واتخاذ قرار سياسي من أجل وقف إطلاق النار؛ وذلك لمعارضة الصين وروسيا القوية في مجلس الأمن لأي قرار لا يأخذ بعين الاعتبار مصالحها والتي تتمثل في الإبقاء على الأسد في الحكم ولو لمرحلة انتقالية، الشيء الذي ترفضه المعارضة والدول العربية والغربية، غير أن روسيا كان لها رأي آخر حيث فرضت الأمر الواقع بالتدخل العسكري المباشر في سوريا، حيث حشدت روسيا قواتها البرية والجوية والبحرية لحسم الصراع والحفاظ على مصالحها في المنطقة.

منذ اندلاع الثورة السورية والموقف الروسي ضل على حاله بتشبته بالأسد كرئيس لسوريا وأن يكون طرفًا لأي حل في المستقبل، فالسياسة الخارجية الروسية في الشرق الأوسط خلال ثورات الربيع العربي اتسمت بالعملية والواقعية، فضلًا عن الاستقرار والثبات نظرًا للأهمية الكبيرة التي توليها السياسة الروسية للمنطقة، حيث تفضل روسيا استقرار المنطقة واستمرار القيادات الحاكمة نظرًا للروابط الاستثمارية والعلاقات الاقتصادية والعسكرية التي تربطها بالأنظمة العربية المتقدمة، دون الاكتراث للمطالب الشعبية بالتغيير والمطالبة بالديموقراطية، فالثورات العربية أربكت حسابات القوى الإقليمية والدولية بانتشارها وانفجارها المفاجئ، غير أن الموقف الروسي والصيني بقي ثابتًا في مساندة رسمية لأنظمتها الحليفة خاصة النظام السوري^{١٧}.

^{١٧} - نوار جليل هاشم، أمجد زين العابدين طعمه، "الموقف الروسي من الثورات العربية. (ليبيا، مصر، وسوريا نموذجا)"، سياسات عربية، العدد ١٢ يناير ٢٠١٥، ص ١٨.

الموقف الروسي تجاه الثورة السورية تحكمه العقيدة الروسية في الحكم باعتبارها شبيهة غالبية الأنظمة العربية وخاصة النظام السوري، نظام الحزب الوحيد والقبضة العسكرية على جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث يُفضّل النظام الروسي التعامل مع هذه الأشكال من الأنظمة؛ لسهولة وسلاسة عقد الاتفاقيات معها وضمان التزامها بها، عكس الأنظمة الديمقراطية التي تلجأ إلى برلماناتها من أجل تحديد السياسة الخارجية وارتباطات الدولة مع الدول الأخرى، كما أن ما شهده الاتحاد السوفيتي من تفكك، وما تعرفه الفيدرالية الروسية من نزعات انفصالية ومقاومتها لها بالقمع والعنف المسلح، جعل من روسيا تتخذ مواقفًا مناهضة للثورات العربية بصفة عامة. الرئيس الروسي "بوتين" ومساعديه يعون جيداً الخطر الواضح بإقحام روسيا في منطقة تقليدياً الكل يحارب فيها الكل بدون أي منطق، هنالك أيضاً أخطار أقل حدة، والتي يمكن مبدئياً توقعها لكن يستحيل تقريباً التنبؤ باحتمالاتها وشدتها^{١٨}:

– الخطر الأول: إمكانية الرد غير المتكافئ "لتنظيم الدولة الإسلامية" بالقيام بضربات "إرهابية" وسط روسيا، حيث جاء في تصريح أحد النواب في البرلمان الروسي "الكريمليين" حول هذه الفرضية أنه: "في جميع الأحوال جواب تنظيم الدولة الإسلامية" سيكون غير متماثل، وكلما تأخرت روسيا في حل مشكلة هذا التنظيم من الجذور كلما كان ردهم أعنف".

– الخطر الثاني: احتمال الحصول على نتائج متباينة للطائرات الروسية في سوريا، فروسيا ليست القوة العالمية الوحيدة التي تريد التدخل من أجل حل مشكلة "داعش" عبر الضربات الجوية، فالولايات المتحدة تعمل على ذلك منذ مدة دون نتائج، فهل ستستطيع روسيا فعل الأفضل؟ يجب أحد المقربين من الرئيس الروسي أنه: "طيلة فترة الضربات الأمريكية، أخذت المساحة التي يشغلها تنظيم الدولة" تتسع آلاف الكيلومترات؛ لأن الضربات الجوية لا تكون

فعالة إلا إذا كانت بتنسيق مع تحركات قوات على الأرض، وروسيا هي القوة الوحيدة التي يمكنها التنسيق في ضرباتها الجوية مع القوات العسكرية السورية النظامية التي تحارب "تنظيم الدولة" حقيقةً.

-الخطر الثالث: يتمثل هذا الخطر - الذي لا يعني سوريا مباشرة - في وصول طالبان أفغانستان إلى "قندوز"، وهي نقطة استراتيجية مهمة قريبة من الحدود "الطاجكستانية"، حيث التهديد يطال الدويلات السوفيتية سابقاً والتي لا يمكن أن تتركهم روسيا لمصيرهم إلى أن يتوغلوا بالقرب من حدودها، مما يستوجب الحرب للقضاء عليهم وبالتالي فتح جبهة أخرى للقتال قريبة من روسيا.

روسيا التي كانت تدافع عن وجودها في مناطق نفوذها التقليدية بأوكرانيا وجورجيا ومواجهة الاختراق الغربي هناك، خرجت للهجوم في سوريا، وفرض أمر واقع بالتدخل عسكرياً، ومساعدة النظام السوري الذي كان يعد أيامه أمام زحف قوات المعارضة، أمام تردد الدول الغربية في حسم أمر تدخلها؛ وذلك لأن مصلحتها تكمن في إنهاك قوى جميع الأطراف المتحاربة واستنزاف قوتها، فهي لا يمكن أن تدعم نظام الأسد، ولا الجماعات التي تقول عنها "إرهابية"، بالإضافة إلى عدم ثقتها في قوى المعارضة، فمنذ اشتعال الأزمة في سوريا والولايات المتحدة تضع الخطوط الحمراء لعدم تجاوزها أو أنها ستتدخل، وجميع الخطوط تم تجاوزها بما فيها استعمال الأسلحة الكيماوية، كل ذلك لم يشفع للشعب السوري في أن يتدخل المجتمع الدولي لوقف الحرب عليه.

رغم أن روسيا تدعي أنها ثقاتل "تنظيم الدولة" في سوريا غير أنها تقوم بمساندة نظام الأسد وقواته العسكرية في التقدم، وذلك بقيام الطيران الروسي بضرب قوات المعارضة - التي دربتها وسلحتها الولايات المتحدة الأمريكية - في أكثر من موقع، وهو سبب التدخل الروسي المباشر حيث إن تسليح قوات المعارضة جعلها تتقدم على القوات النظامية، حيث قامت قوات النظام بالتقدم في "حماء" وهي المدينة التي كانت تسيطر عليها قوات المعارضة وبعض الجماعات الإسلامية، كما صرح الرئيس الروسي "بوتين" بأن قواته دمرت أكثر من مائة واثنى عشر موقعاً عسكرياً للجهاديين منذ ٣٠ سبتمبر ٢٠١٥، فالقوات الروسية حريصة على ضرب مواقع المعارضة التي تعتبر الخطر الأكبر على نظام بشار الأسد

كونها تمثل بديلاً له، ومكونة من السوريين، عكس الجماعات المتطرفة الأخرى ومنها "تنظيم الدولة" التي تعد خطراً ثانوياً بالنسبة له^{١٩}.

لقد تعددت الأسباب والعوامل التي دفعت بروسيا إلى التدخل عسكرياً في سوريا، فبالإضافة للأسباب التي ذكرنا يبقى العامل المهم الذي دفع روسيا للتدخل هو ضمان مكانها في سوريا الجديدة بعد الحرب، وذلك بالحفاظ على مصالحها هناك، وضمان تواجدتها على البحر الأبيض المتوسط حيث توجد لها قوات بحرية، بعد ذلك تأتي عوامل أخرى كتسليح الولايات المتحدة للمعارضة السورية وتدريبها، وتراجع قوات النظام في مواقع عديدة وتصاعد قوة "تنظيم الدولة"، حيث أصبحت خريطة الصراع في سوريا مقسمة بين النظام وبين قوات المعارضة وبين "الجماعات المسلحة المتطرفة"، كذلك خروج روسيا من بؤرة الصراع الإقليمية وانتقالها للمشاركة في اللعبة الدولية عالمياً، في رسالة موجهة للولايات المتحدة والعالم أنها لم تعد روسيا المنكمشة المنهكة اقتصادياً ولا تستطيع المشاركة في القرار الدولي الذي ابتعدت عنه منذ انهيار الاتحاد السوفيتي.

لم ترقى ردود الفعل الدولية بخصوص التدخل الروسي في سوريا إلى المستوى المطلوب، حيث أبدت الدول الغربية إضافة إلى تركيا والسعودية وقطر دهشتها من الانخراط العسكري الروسي المباشر في سوريا، وشجبت ذلك التدخل الذي قالت إنه يستهدف الثوار دون تنظيم "داعش"، إضافة إلى الخسائر البشرية في صفوف المدنيين السوريين جراء الغارات الجوية الروسية، وقد أصدرت سبع دول هي الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وتركيا، والسعودية، وقطر، بياناً مشتركاً ضد التدخل الروسي بتاريخ ٢ أكتوبر ٢٠١٥م، كما صرّح الرئيس الأمريكي في نفس اليوم تصريحاً يحمل ازدواجية في التفسير بالقول: "إن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستخدم سوريا ساحة حرب بالوكالة، وأن سوريا ستكون مستنقعا للروس"^{٢٠}.

^{١٩} - Le point sur l'intervention militaire Russe en Syrie.

Article publié sur le journal Le Monde avec AFP et Reuters.

7/10/2015 www.lemonde.fr

^{٢٠} - الحرب الروسية في سوريا: الأسباب والمآلات، دراسة منشورة على موقع مركز الجزيرة للدراسات، ١٢ أكتوبر ٢٠١٥. <http://studies.aljazeera.net>

لقد حاول البعض تبرير التدخل الروسي باعتباره تدخلًا قانونيًا؛ لأنه جاء بطلب من النظام السوري المعترف به دوليًا، غير أنه كما سبق الذكر فالنظام السوري سقطت عنه شرعية تمثيل الشعب السوري بعد اندلاع الثورة واستخدامه العنف المسلح لقمعها، كما أن تقلص المساحة التي يسيطر عليها الجيش النظامي وعدم قدرته على تغطية البلاد، يفرض على الجميع من منظمات الإغاثة والمنظمات الدولية التعامل مع القوة المسيطرة على كل منطقة على حدة، بل إن معلومات تداولتها مواقع إخبارية تفيد بأن تنظيم الدولة اشترط أخذ حصصه من السلاح مقابل تسهيل مروره لقوات المعارضة، فالحرب في سوريا غير مفهومة وما زاد من تعميمها عدم تدخل الأمم المتحدة وتركها للقوى الكبرى والمتوسطة من أجل الحسم في أمرها، في تمهيد لإعادة صياغة "سايكس بيكو" جديدة.

أمام التدخل الروسي اكتفت الولايات المتحدة بالضربات الجوية رفقة حلفاءها حيث يتيه الملاحظ في تحديد من يقصف من؟ وحسب جريدة "نيويورك تايمز" التي أوردت إحصائيات نُشرت على موقع وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون، تشير إلى أن التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والمكون من عدة دول، وهي: بريطانيا وفرنسا وكندا وأستراليا والأردن العربية والسعودية والبحرين والإمارات العربية المتحدة وتركيا وإسرائيل، بالإضافة إلى نظام الأسد وروسيا، كلها تقوم بضربات جوية في سوريا حاليًا، والكل يدعي ضرب "تنظيم داعش"، حيث وصل عدد الضربات الجوية إلى ٧١٦٢، في سوريا والعراق، فمن ٢٥٧٩ ضربة على سوريا (٢٤٤٢ قامت بها الولايات المتحدة فقط) و٤٥٨٣ ضربة جوية على العراق^١، وكل ذلك لا يمكنه نفي حالة التردد أو التجاهل أو الخوف لدى الرئيس الأمريكي "باراك أوباما" تجاه سوريا، وذلك ما يجعلنا أمام تساؤلات كبيرة وهي هل التردد الأمريكي ناتج عن التجربة العراقية وعدم وصولها إلى تشكيل نظام سياسي متين يحافظ على السيادة العراقية؟ أم أن الولايات المتحدة أنهكتها الحروب في المنطقة اقتصاديًا وتريد من روسيا تحمل جزء من المسؤولية في القيادة الدولية؟ ولكن ما هو مؤكد أن باقي الدول لن تستطيع التدخل مباشرة كما فعلت روسيا دون استئذان الولايات المتحدة أو مباركتها، كون أي تدخل سيستوجب تنسيقًا عسكريًا مع روسيا

وحلفاءها وهو ما قد يبعثر ورقة التحالفات في المنطقة، التي أصبحت تنذر بقرب حرب عالمية خصوصاً مع التشنج العسكري بين أنقرة وموسكو بعد إسقاط الطائرة الحربية الروسية في المجال الجوي التركي.

واقع الحال السوري يقول أن حرباً عالمية ثلعب في ملعبه حيث أن الكل يريد له موطئ قدم، وقد انضمت فرنسا - المستعمر القديم - إلى مصاف الدول التي تريد نصيبها والحفاظ على مصالحها في سوريا وذلك باستغلال أحداث العنف التي شهدتها باريس في شهر نوفمبر الماضي، حيث أمر الرئيس الفرنسي بتحريك البارجة الحربية "شارل دو غول" لمحاربة أيضا تنظيم "داعش" الذي تبني تلك العمليات، فالكل يحارب "داعش" والكل يقصد سوريا والنتيجة المزيد من القتلى المدنيين، توسع "تنظيم الدولة"، استقواء نظام الأسد، تراجع قوات المعارضة، تهميش دور المعارضة السياسية، حيث أصبحت سوريا صومال جديدة.

الفصل الثاني: ماهية الصراع في سوريا ومستقبله.

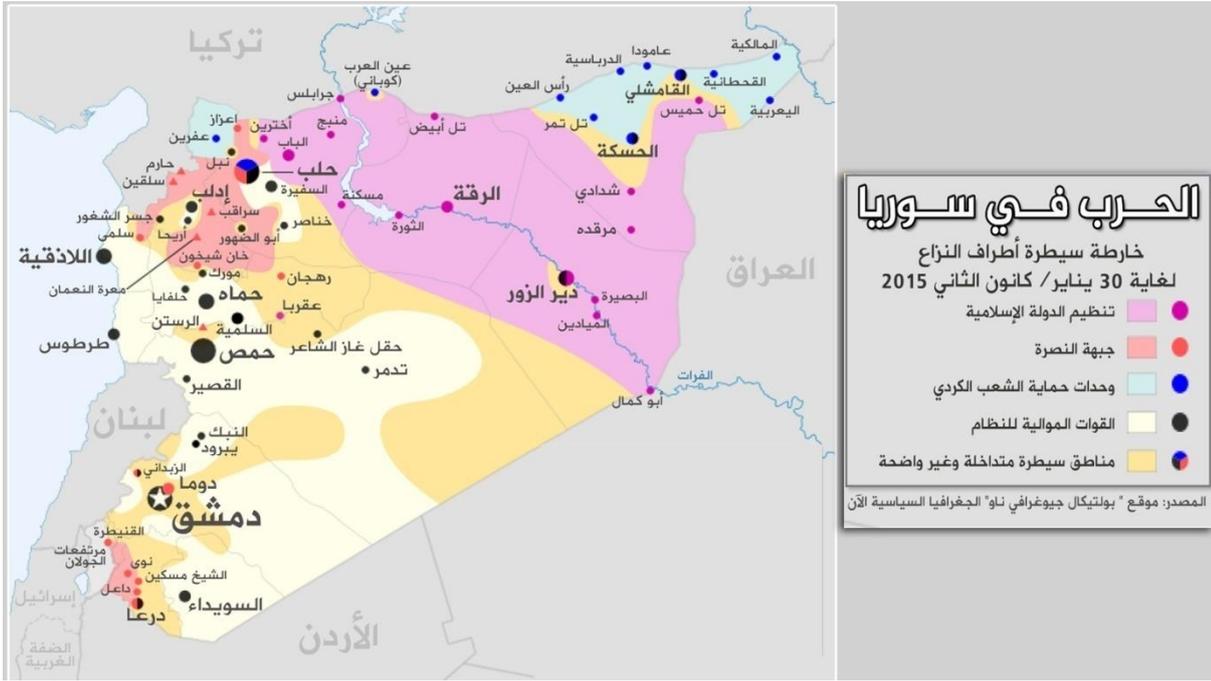
لقد تطور الصراع في سوريا من ثورة سلمية إلى حرب طائفية ذات أبعاد دولية، وذلك للموقع الحساس الذي تشغله سوريا في منطقة الشرق الأوسط، منطقة الحروب والصراعات منذ القدم حيث تصارعت هناك قبائل ودول وإمبراطوريات، كما أن طبيعة النظام الحاكم في سوريا والقبضة الحديدية التي كان يحكم بها جعلت من اشتعال ثورة بالبلد أمراً يلزمه القليل من النار لإشعاله لكن يلزمه الكثير من الماء لإخماده، إن تحديد ماهية الصراع في سوريا يساعد على فهم التنوع الذي يعرفه ميدان الحرب، من فصائل مقاتلة مختلفة وصراعات دولية حول النفوذ وتعدد الأهداف المتوخاة من الصراع.

إن الثورات العربية اختلفت عن مثيلاتها من الثورات التي شهدتها العالم في العصر الحديث، خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي الذي استقلت عنه دول عديدة في أوروبا الشرقية، والثورة السورية اختلفت كثيراً عن باقي الثورات العربية كتونس ومصر وليبيا واليمن، وذلك لكثرة اللاعبين الدوليين في سوريا واختلاف وزنهم على الساحة الدولية، مما يفسر البلقنة التي تعرفها خريطة الصراع في سوريا، وانعكاسها على المنطقة بأسرها في الشرق الأوسط الذي أصبح يعيش على شفا حرب طائفية كبرى.

المبحث الأول: خريطة التنظيمات المسلحة في سوريا وأهدافها.

لقد أدت الحرب في سوريا إلى تقسيم البلاد إلى مناطق عسكرية، تخضع كل منطقة إلى فصيل معين حسب قوته،

حيث الطرف الأقوى يسيطر على منطقة أكبر، وتبين الخريطة التالية مناطق القوى المتحاربة في سوريا:



المصدر: مركز الجزيرة للدراسات.

حيث يتبين من خلال هذه الخريطة كيف تلاشت مظاهر الثورة في سوريا وتحولت الدولة إلى ساحة حرب مبلقنة، حيث

يستحوذ "تنظيم الدولة الإسلامية" على المساحة الأكبر، تليه قوات النظام السوري، لأن تنظيم الدولة استفاد من

هشاشة الوضع الأمني في العراق ونشاطه هناك وتمرسه على القتال.

تضم خريطة الصراع في سوريا عدة أطراف من جماعات مسلحة متطرفة مصنفة في خانة "الإرهاب"، وجماعات أخرى

تُحسب على القوى المعتدلة من المعارضة وقوات نظامية، نذكر منها الأطراف الرئيسية:

-تنظيم الدولة الإسلامية أو ما يعرف اختصاراً بـ "داعش": يسيطر هذا التنظيم على مساحة كبيرة من شمال سوريا مستعياً بسيطرته على الجهة الشمالية الغربية من العراق، حيث يسعى إلى التوسع من أجل بناء دولة إسلامية دون الاعتراف بالحدود، هذا التنظيم الذي لا يتوفر على هوية محددة باعتبار الخليط من المقاتلين الذين يوالونه، حيث بدأت قصة "داعش" في العراق عقب الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣م، حيث شكّلت مجموعة من المجاهدين القادمين من أفغانستان جماعة موالية للقاعدة من أجل مقاومة الاحتلال الأمريكي، ولكن سرعان ما تحولت وجهة العداء إلى العدو الأقرب من الشيعة والخونة والمرتدين من السنة حسب قولهم، حيث ساعد على تقويتهم ما تعرّض له السنة من ترهيب وتقتيل من طرف الميليشيات الشيعية في العراق وتهميش سياسي، حيث جمعت العديد من المال والعناد والمقاتلين^{٢٢}.

يصل عدد المقاتلين في تنظيم "داعش" إلى ما يقارب خمسة آلاف مقاتل بقيادة "أبو بكر البغدادي" أو "أبو دعاء"، فبعد رفض جبهة "النصرة" تأسيس دولة الإسلام في العراق والشام في أبريل ٢٠١٣، عمل "البغدادي" على توسيع عملياته في سوريا، حيث أشارت وكالة الاستخبارات الأمريكية أنه متمركز في سوريا رفقة خمسة آلاف مقاتل معظمهم من الأجانب، حيث تعتمد الجماعة على العمليات الانتحارية من أجل السيطرة على الأهداف التي تهاجمها خاصة القواعد العسكرية التي سيطرت عليها، ولم يستثني التنظيم الجماعات المقاتلة الأخرى من هجماته رغم انتمائهم العقائدي والفكري والجهادي المشترك^{٢٣}.

لقد ساعدت عوامل عديدة على خروج "البغدادي" عن صف التنظيم الأم "القاعدة"، منها: جنوح القاعدة للسلم في بعض الأحيان ومباركتها للثورات العربية، وهو ما جعل الجناح الأكثر دموية في التنظيم يخرج للعلن وينشق عنها رغبة في فرض إقامة دولة إسلامية لا تعترف بحدود جغرافية أو سياسية، رغم اتهامهم من طرف "القاعدة" بالتكفير المطلق لمن يخالفهم، وإعلان الخلافة دون إجماع المسلمين، والإكثار في القتل والإسراف فيه، وأنها تعتبر نفسها

^{٢٢} - Peter HARLING. Chercheur pour l'International Crisis Group. « Etat islamique un monstre providentiel. » Le monde diplomatique septembre 2014 p 1 à 6

الجماعة الوحيدة التي تتبع طريق الإسلام الصحيح، ناهيك عن غموض شخصية "البغدادي" الشيء الذي لا يخوله أن يكون أميراً للمؤمنين^{٢٤}.

يقول الباحث الألماني "كريستوف روتر" "Christoph Reuter" أن بقايا نظام البعث العراقي وضباط مخابراته هم من يُسيّر العمليات في "تنظيم الدولة"، والذي حسب تقديراته يضم ما بين خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف مقاتل، وليس كما تقول بعض التقارير أن العدد هو خمسة آلاف، كما أنه أثار شكوكاً حول دعم نظام الأسد لهذا التنظيم، حيث يقول "كريستوف" أنه فيما يقارب خمسة عشر مواجهة بين "داعش" وباقي التنظيمات الثورية، تأتي قوات الأسد الجوية لقصف الثوار دون مقاتلي "داعش"، كما أن نوعية المقاتلين تختلف ما بين فئة جاءت من أجل الجهاد ودوافع أيديولوجية وهي التي تصطم بواقع الميدان الذي لا يميز بين أحد في القتل، وتفكر في العودة التي يكون ثمنها القتل من العدو والصديق، وما بين فئة محبة للقتل والاعتصاب والسلطة وهي التي تجد ما أتت إليه^{٢٥}.

تتضارب الأنباء والأخبار حول تكوين وتركيبه "تنظيم الدولة"، غير أن الواضح أن درجة عنفه ولغة خطابه أكثر تطرفاً من التنظيم الأصلي الذي انشق عنه "القاعدة"، كما أن بؤادر هذا الفصيل من القاعدة سابقاً ينسب الكثيرون تأسيسه إلى "أبو مصعب الزرقاوي" القيادي السابق في تنظيم القاعدة في العراق، وخطورة هذا التنظيم تتجلى في المساحة الكبيرة التي يسيطر عليها، والثروات التي تحتويها تلك المناطق، وكذلك غموض القادة المتحكمين فيه، والذين يُرَجَّح أغلب الملاحظين إلى كونهم من بقايا المخابرات العسكرية العراقية المنحلة، بالإضافة إلى غموض مصادر التمويل والشبكات التي تزودها بالمقاتلين، حيث وصلت المنطقة إلى الحالة التي حذر منها الرئيس العراقي الراحل "صدام حسين" إبان الاحتلال الأمريكي للعراق "ستفتحون أبواب جهنم"...

– **هيئة الأركان العامة للجيش السوري الحر: القيادة يتولاها اللواء "سليم إدريس"**، تشكل الجيش السوري الحر في أغسطس / آب ٢٠١١ من المنشقين في الجيش السوري النظامي في تركيا بقيادة العقيد "رياض الأسعد"، حيث انضمت إليه تشكيلات أخرى مسلحة وتبنت شعارهم، كما لقي الجيش الحر الدعم من قوى المعارضة في الخارج التي سعت إلى

^{٢٤} - تنظيم "الدولة الإسلامية": النشأة، التأثير، المستقبل، ملف منشور على موقع مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر ٢٠١٤، ص ٢٦.

^{٢٥} - Voyage au bout de la terre. Interview avec le journaliste du Spiegel Christoph Reuter. Courrier international hors série octobre-novembre 2015. P 6.

خلق قيادة مركزية داخل سوريا رغم عدم توفره على مساحة معينة من الأرض، حيث يسعى إلى أن يكون البديل المعتدل عوض باقي الجماعات المسلحة المتطرفة، وتتكون هيئة الأركان من ثلاثين عضواً بواقع ستة ممثلين عن كل جبهة من الجبهات الخمس التي ينتشرون فيها في سوريا، حيث يعترف الائتلاف الوطني السوري المعارض باللواء إدريس قائدًا لجميع وحدات الجيش السوري الحر^{٢٦}.

نقطة قوة الجيش الحر هي قبوله من طرف القوى الخارجية وغالبية الشعب السوري المناهضة لنظام الأسد، حيث يتلقى الدعم السياسي والعسكري من دول التحالف وبعض الدول العربية منها السعودية وقطر وتركيا، وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي أعلنت مرات عديدة عن تسليحها للجيش الحر وتدريب عناصره، حيث يُعوّل عليه في أن يكون نواة جيش سوريا بعد رحيل النظام الحالي، بالإضافة إلى أن عدم إدراجه في قائمة التنظيمات "الإرهابية" يساعده أن يكون مخاطباً ميدانياً، وحليفاً عسكرياً في أي عملية عسكرية يقوم بها التحالف الدولي في سوريا.

حقق الجيش السوري الحر انتصارات عديدة على قوى النظام، خصوصاً في الجنوب السوري حيث بدأ بالهجمات المتقطعة هنا وهناك في بداية الصراع، وكانت مهمته تتركز على حماية الثوار من جنود النظام، وسرعان ما تحول إلى الهجوم باستيلائه على عدة مراكز عسكرية في الريف الغربي، ثم الهجوم على نقاط عسكرية وحيوية في المنطقة الغربية والشرقية وبعض الحواجز التي كانت تُقسّم درعا، وقد قام الجيش الحر بتحرير مناطق ومدن عديدة على الحدود السورية الإسرائيلية قرب الجولان المحتلة، وكذلك على الحدود مع الأردن، وخاض معارك كبيرة ضد مليشيات حزب الله اللبناني، وبسيطر الجيش الحر على مناطق كبيرة من درعا بالإضافة إلى مدينتي الرقة وإدلب^{٢٧}.

- **جبهة النصرة:** تُعتبر جبهة النصرة من الجماعات المسلحة التي تتبنى الفكر الجهادي في سوريا، حيث ظهرت مع بداية النزاع المسلح في سوريا وتبنت العديد من الهجمات على الجيش السوري النظامي، حيث يعتبرها الكثير من المراقبين

^{٢٦} - الأزمة السورية: دليل الجماعات المسلحة في سوريا، مقال صحفي، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٤. www.bbc.com/arabic.

^{٢٧} - أسامة الكوشك، "الخارطة العسكرية للمعارضة السورية في الجنوب"، مركز الجزيرة للدراسات، ٣ ديسمبر ٢٠١٥.

من الجماعات المسلحة التابعة لتنظيم "القاعدة"، كما أنها اختلفت كثيراً مع "تنظيم الدولة" حيث وصل الاختلاف إلى الاشتباك المسلح، وتُعتبر من الجماعات المدرجة في لائحة "الإرهاب" الأممية.

كما تُعتبر جماعة "النصرة" من أقوى الجماعات المقاتلة للنظام في سوريا، حيث تنشط في حوالي إحدى عشرة محافظة من أصل أربعة عشرة محافظة، تأسست الجماعة في منتصف سنة ٢٠١١ بمساعدة من قياديين في "تنظيم الدولة بالعراق"، يتزعمها المدعو "أبو محمد الجولاني" وتسيطر حالياً على عدة مناطق شمال سوريا، وقد عُرِض على الجماعة الدمج بينها وبين "تنظيم الدولة" غير أن زعيمها رفض ولم يوافق على فك الارتباط مع التنظيم الأم "تنظيم القاعدة"، كما أن جماعة "النصرة" أصبحت تركز على العمل الخيري والاجتماعي والظهور بمظهر مخالف عن تنظيم الدولة، وتكريس جهادها لقتال نظام الأسد من أجل كسب التأييد محلياً ودولياً، مما يفسر تزايد أعداد المقاتلين في صفوف "تنظيم الدولة" عوض جبهة "النصرة"^{٢٨}.

لقد حاولت جبهة "النصرة" الانفتاح على العالم الخارجي والظهور مظهر الجماعة التي تقاتل في سبيل تحرير الشعب السوري من قبضة الأسد، مستغلة في ذلك النفور الدولي والإسلامي من تنظيم الدولة وما تقتضيه من جرائم في حق السوريين وغيرهم، كما أن دخولها في تحالفات مع باقي فصائل المعارضة يعطي طابعاً على أن الجبهة تسعى إلى مساعدة الشعب السوري في ثورته، وليس كتنظيم الدولة الذي أعلن الخلافة الإسلامية ويسعى إلى فرضها على أرض الواقع في سوريا والعراق بقوة السلاح والرعب، حيث قام زعيم الجبهة "أبو محمد الجولاني" بعدة مقابلات إعلامية دون الكشف عن هويته الحقيقية^{٢٩}، كما أن الجبهة تلقت دعوات كثيرة من دول عربية من أجل فك ارتباطها مع "تنظيم القاعدة" من أجل الحصول على مقعد مع المعارضة السورية المعترف بها وسحبها من قائمة "الإرهاب" لتتمكن من الحصول على الدعم الخارجي.

^{٢٨} - الأزمة السورية: دليل الجماعات المسلحة في سوريا، مقال صحفي بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٤. www.bbc.com/arabic.

^{٢٩} - يمكن الرجوع إلى أرشيف قناة الجزيرة حيث أجريت مقابلة خاصة مع زعيم جبهة النصرة "أبو محمد الجولاني".

هناك تنظيمات عديدة تقاتل في ساحة الصراع السورية، غير أن البحث اقتصر على الجماعات الأكثر قوة وتأثيراً، حيث اختلقت الساحة بالجماعات المسلحة والمقاتلين الذين انقسموا إلى أجناب، وسوريين، وأجناب عرب وقوقاز وأفغان ... الثورة في سوريا لم تعد ثورة بل أصبحت " حرباً مختلطة"، مختلطة المعالم والمصالح والسلاح والمسلحين، فبعد تدمير العراق وامتلاءه بالمليشيات والجماعات المسلحة، أصبح من السهل انتشار ذلك في سوريا، وذلك باختفاء معالم الدولة المؤسساتية وتفكك الجيش وانشغاله بالثوار وتخليه عن حماية الحدود من تدفق المقاتلين والأسلحة فتصبح الدولة عبارة عن ساحة حرب مفتوحة الأبواب.

المبحث الثاني: انعكاس الصراع في سوريا على الوضع السياسي والاجتماعي لسوريا والمنطقة العربية.

إن الموقع الذي تشغله سوريا في قلب الشرق الأوسط يجعل من أي مشكلة تعيشها يكون لها تأثير على باقي دول المنطقة، أمنياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً...؛ وذلك لتواجد أقليات عرقية ودينية متنوعة تتقاسمها دول المنطقة، فالحدود الموروثة عن الاستعمار ساعدت على تقسيم قبائل وعرقيات على أكثر من دولة، حيث نجد في سوريا علويين وأكراد وسنة ومسيحيين وشيعة وعرب وتركمان...، مما جعل دولاً أخرى تتدخل من أجل حمايتهم في أي نزاع مسلح بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كما أن أبرز مشكلة تفرزها النزاعات المسلحة ويكون لها تأثير على الدول المجاورة، هي مشكلة اللاجئين الذين يتوافدون هرباً من القتل والبحث عن مكان آمن للعيش ولو مؤقتاً إلى حين انتهاء الحرب.

١- الأزمة السورية ومشكلة اللاجئين:

في ظل تفاقم الوضع العسكري في سوريا وتزايد حدة العنف المسلح، يرتفع عدد الأشخاص المتضررين من هذا الصراع، حيث يستمر تدمير البنى التحتية وانعدام الأمن والعنف مما يشكل عائقاً أمام تقديم أي مساعدة إنسانية، كما أن سوريا لم تكتفي بتصدير اللاجئين من السوريين بل تستقبل عدداً كبيراً من اللاجئين من العراق الذين يفرون من الأوضاع القاسية هناك، حيث يستقرون في شمال شرق سوريا، ويقدر مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية أن يكون هناك ١,٨ ملايين سوري من إجمالي ٢٢ مليون سوري قد تضرروا من الصراع، من بينهم ٦,٥ مليون نازح داخلي، بحاجة إلى مساعدات إنسانية، بارتفاع بنسبة ٥٠ في المائة عن سنة ٢٠١٣ حيث العدد مرشح للارتفاع، ناهيك عن استقبال سوريا لثلاث وثلاثين ألف لاجئ من العراق والصومال وأفغانستان.^{٣٠}

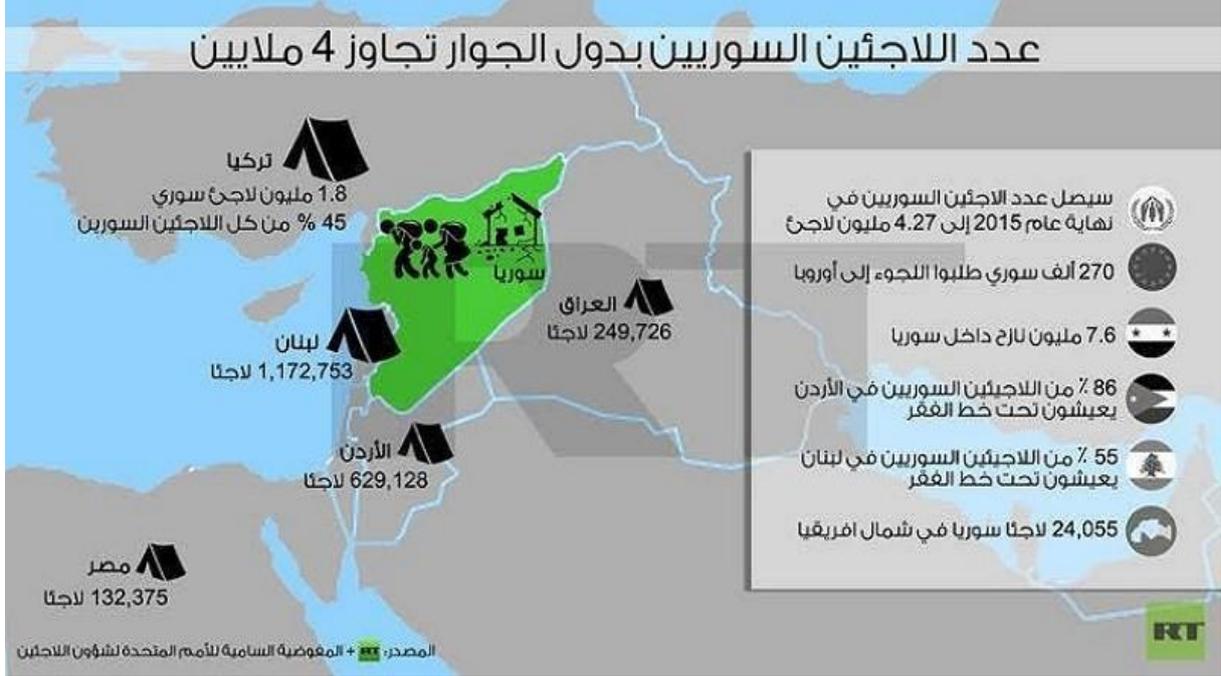
لقد أثقلت أزمة اللاجئين السوريين كاهل الدول المجاورة خصوصاً الأردن وتركيا، حيث استقبلت تلك البلدان أعداداً كبيرة من الفارين من الظروف المأساوية والعنف المسلح، ويزداد ذلك العدد مع تزايد حدة المواجهات، حيث تتغير في كل مرة الجهة المسيطرة على المناطق السكانية، فالشيعة يفرون من السنة والجماعات المتطرفة، والسنة يفرون من الشيعة وقوات النظام، والجميع يفر من الجميع، حتى أصبح افتراش الرصيف عند المواطن السوري أو عبور البحر المتوسط أهون من الجلوس تحت رحمة القصف لا ماء ولا كهرباء ولا أكل، بل الموت في كل جانب.

صرح رئيس اتحاد منظمات الإغاثة الطبية السورية "زيدون الزعبي" بالقول: "إن الناس يخافون الموت، والجميع يفرون ويفضلون النوم في الشوارع وعلى الأرصفة وفي الحقول ولا مكان يذهبون إليه"^{٣١}، كما قال رئيس الوزراء التركي "أحمد داوود أوغلو" "إن تركيا ترفض أن تكون بمثابة "معسكر اعتقال" للسوريين في المنفى مقابل أموال الاتحاد الأوروبي، وضغط من أجل تنازلات جديدة مقابل المساعدة في تخفيف أزمة اللاجئين في أوروبا، وذلك في تصريحات لصحيفة "التايمز"، حيث أشار "أوغلو" إلى أن الفارين الجدد من الهجوم الروسي على سوريا سيتوجهون مباشرة إلى أوروبا، في إشارة إلى أن تركيا لن تستطيع تحمل عدد أكبر من اللاجئين.

فأزمة اللاجئين السوريين تعدت حدود المنطقة ووصلت إلى أوروبا التي كانت تظن أن الحرب في سوريا وأوضاعها لا تعنيها، مما يفسر التماطل الذي أبانت عليه تلك الدول في إيجاد حل لوقف العنف والتقتيل الذي يمارسه نظام الأسد، غير أن تدفق أعداد كبيرة من اللاجئين على أوروبا انطلقاً من تركيا التي لم تعد بلد استقبال فقط، عبر الحدود البرية والبحرية جعل الدول الغربية تستشعر مدى حدة الأزمة الإنسانية التي يعاني منها البلد، وهو ما يفسر الاتهامات المتبادلة بين تلك الدول حول المعاملة الإنسانية للسوريين وكذلك الالتزام بمعاهدة حماية اللاجئين، والالتزام باستقبال عدد منهم في كل دولة.

حسب المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فإن أكثر من أربعة ملايين سوري سجلوا لديها في بلدان الجوار منذ اندلاع الأزمة السورية في مارس ٢٠١١، وحوالي أربعمئة وثلاثين ألف سوري قدّموا طلباتٍ للجوءٍ إلى أوروبا في نفس الفترة، كما أن النزوح السوري يتنوع من داخلي إلى دول الجوار التي يصعب عليهم فيها تأمين المأوى والطعام، وتشير تقارير دولية إلى أن أغلب اللاجئين السوريين في دول الجوار يعيشون بأقل من نصف دولار في اليوم، ناهيك عن منعهم من العمل في بعض الدول وغير ذلك من المضايقات، مع تراجع المعونات الدولية، وتنصل الدول المانحة من مسؤولياتها اتجاههم^{٣٢}.

إن مشكلة اللاجئين السوريين لم تعد مشكلة سوريا فقط بل أصبحت مشكلة دولية، وذلك بعبور آلاف اللاجئين لدول أوروبية وعربية وصولاً إلى القارة الأمريكية، غير أن أسهل طريق تبقى الطريق نحو أوروبا مروراً بتركيا واليونان وبعض الدول المحايدة لهما، وبأعداد كبيرة حيث يمكن أن يتسلل معهم مقاتلين من جميع الأطراف أجنب كانوا أم سوريين من قوات النظام وما ارتكبه من فظاعات في حق الشعب السوري، فأحداث باريس الأخيرة وما عرفته من تفجيرات صنفت "إرهابية" كشفت عن وصول منفذي تلك الجرائم عبر الحدود البرية قادمين من سوريا، مما قد يأزم الوضع الإنساني لطالبي اللجوء الحقيقيين، إن وضع حل لأزمة اللاجئين وما تخلفه من معاناة إنسانية، يكمن حلها في حل السبب الرئيسي للمشكلة وهو وقف الحرب والتقتيل للشعب السوري، وتقديم المتسببين في ارتكاب جرائم ضد الإنسانية إلى العدالة الدولية.



عن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين من موقع روسيا اليوم

لقد أكد السيد "ستيفن أوبراين" وكيل الأمين العام للشؤون الإنسانية، أن العديد من السكان ما زالوا محرومين من المساعدات الإنسانية ويعانون من تداعيات هذه الأزمة الوحشية، مشيراً إلى ضرورة إيصال المساعدات إلى جميع المحتاجين مع أو بدون إبرام اتفاقيات محلية، كما قال السيد "أوبراين": "أن هناك ٤,٥ مليون شخص لا يزالون في مناطق محاصرة ويصعب على المجتمع الإنساني الوصول إليهم، حيث تمكنت الأمم المتحدة من الوصول إلى ١,٥ في المائة فقط من المحتاجين في المناطق المحاصرة، وإلى سبعة في المائة من المحتاجين في المناطق التي يصعب الوصول إليها، وأكد على مسؤولية جميع الأطراف في النزاع بالسماح بإيصال المساعدات والمواد الإغاثية إلى المحتاجين"^{٣٣}.

٢- الوضع الاقتصادي في سوريا الحرب:

لقد تأثر الاقتصاد السوري بشكل كبير جرّاء الحرب التي تعرفها البلاد، حيث دُمّر الاقتصاد المهيكّل وظهر اقتصاد آخر يرتكز على التهريب والسلاح والتجارة بالبشر، حيث يستفيد أمراء الحرب ويقتاتون من الأزمات وعلى جثث الضحايا، فالإقتصاد السوري الذي كان متنوعاً بطبيعته ومرتكزاً على السياحة والفلاحة والصناعة، ويحقق الأمن الغذائي للشعب السوري وثروات طبيعية، أصبح اليوم اقتصاداً مشلولاً ببنية تحتية مدمرة، والأمن الغذائي مهدداً، حيث لم تعد الدولة قادرة على تغطية حاجيات السكان؛ بسبب عنف المعارك بين الفصائل المتناحرة، وصعوبة تنقل منظمات الإغاثة الدولية في مناطق النزاع.

بلغت الصادرات السورية عام ٢٠١٠ حوالي ١٠,٥ مليار دولار، نصفها تقريباً مع الدول العربية في مقدمتها العراق السعودية، و ٣٠٪ تتوجه إلى الاتحاد الأوروبي، وباقي المجموع توّرع على كوريا الجنوبية والصين والولايات المتحدة الأمريكية، وقيمة الواردات وصلت إلى ما مجموعه ١٥ مليار دولار توزعت على السعودية ومصر والاتحاد الأوروبي ودول أوروبية أخرى وتركيا والبرازيل والصين، فسوريا كان لها شركاء اقتصاديين متنوعون قد لا تجمعها بهم علاقات سياسية متميزة، سوريا التي كانت تحقق اكتفاءها الذاتي غذائياً بترتيب العاشر عالمياً في إنتاج القطن وكذلك من الدول المنتجة والمصدرة للحوامض وزيت الزيتون^{٣٤}. عرّف اقتصادها تراجعاً كبيراً سببه الحرب الدائرة في البلاد، ونزوح عدد كبير من اللاجئين، وتعطل مؤسسات الدولة، وانقسام البلاد إلى مناطق عسكرية متناحرة، كما أن مخلفات الحرب من حيث العدد الكبير للقتلى والمعطوبين، والآثار النفسية التي قد تستمر لسنوات مع أجيال عايشة هذه الحرب المدمرة، سيزيد من تفاقم الوضع الاقتصادي لسوريا في الوقت الحاضر وفي المستقبل.

خلال أربع سنوات من الحرب في سوريا خسر الاقتصاد السوري حوالي ٢٢٧ مليار دولار وفقاً لمنظمة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، كما تراجع الإنتاج النفطي بحوالي ٩٧٪، واستمرت العملة الرسمية الليرة في الهبوط مقابل

الدولار بـ ٢٤٠٪، ووصل معدل التضخم حسب معطيات رسمية إلى ١٥٠٪^{٣٥}، فالنظام السوري لحماية ما تبقى من الدولة السورية أو المناطق التي يسيطر عليها، لم ولن يهتم سوى بالسلاح والقوات المقاتلة وكيفية إرضائها من أجل الاستماتة في الدفاع عنه، فعند الحرب لا تهتم نسبة التضخم أو العجز أو الرفاهية للشعب فتلك كماليات يمكن أن ينتبه إليها النظام في وقت السلم إن أراد ذلك.

لقد استقرت سوريا على نظام اقتصاد الحرب، حيث تكون الأولوية توفير الخبز والمواد التموينية الأساسية، مع انهيار للصناعة والعملة، رغم الدعم المالي الذي تقدمه كلاً من روسيا وإيران، كما أن الناتج الإجمالي الخام قد انخفض إلى النصف منذ عام ٢٠١٠، آخر سنة قبل النزاع المسلح، كما تأثر النظام بالعقوبات الدولية المفروضة، وبفقد حقول النفط التي استولت عليها الجماعات المسلحة، لكن الاقتصاد قد تجنب إلى الآن الانهيار الكامل بدعم كبير من طرف الحلفاء الرئيسيين لدمشق، روسيا وإيران، ويقول الخبير الاقتصادي "جهاد يزيجي" صاحب موقع المعلومات الاقتصادية "THE SYRIA Report": "الاقتصاد السوري عرف تحولا جذرياً... والاقتصاد الذي نعرف دُمّر جزء كبير منه"، ويضيف: "قطاعات كبيرة من الاقتصاد السوري توقفت عن الإنتاج والكثير من الفاعلين الاقتصاديين غادروا البلاد"، كما أن "السطو والاختطاف والحوارز على الطرقات والسيطرة على حقول النفط... أصبحت مصادر للدخل"، فالإقتصاد الغير المهيكل مثل اقتصاد الحرب أصبح يزدهر، كما استفاد الكثير من رجال الأعمال من الحرب واستثمروا فيها، وازدهرت مؤسسات وشبكات جديدة مع الحرب، فمع عسكرة الثورة التي بدأت سلمية في بداية مارس ٢٠١١ ألقى بسوريا في نزاع مُرْكَب والذي خُلف حسب إحدى المنظمات الدولية أزيد من مائة وأربعين ألف قتيل وشردت نصف الشعب السوري، فالناتج الإجمالي الخام في سوريا وصل عام ٢٠١٤ إلى ٣٤ مليار دولار مقابل ٦٠ مسجلة في سنة ٢٠١٠^{٣٦}.

<http://www.aljazeera.net/multimedia/infograph>

^{٣٥} - الاقتصاد السوري بعد أربع سنوات من الثورة، ٢٠١٥/١٠/١٤

وحسب معطيات للأمم المتحدة أعلنت عليها في أكتوبر ٢٠١٤، فإن الاقتصاد السوري فقد مائة وثلاثة مليارات دولار منذ بداية الثورة إلى منتصف العام ٢٠١٣م، منها ٤٩ فقط في عام ٢٠١٢م، ونسبة البطالة ارتفعت إلى نصف الشعب السوري الذي يقدر عدده بحوالي ٢٢ مليون نسمة، يعيش نصفه تحت خط الفقر و٤,٤ مليون يعيشون فقراً مدقعاً، حسب الأمم المتحدة، في هذه الظروف يبحث السوريون فقط عن تأمين حاجياتهم الأساسية من: خبز وشاي وسكر ووقود، والإنتاج النفطي انهار من ٣٨٥,٠٠٠ ألف برميل يومياً إلى ١٤٠٠٠ ألف برميل، ومن أجل تلبية الاستهلاك الداخلي المقدر ب ١٥٠٠٠ برميل يومياً، على سوريا أن تستورد النفط من إيران، بقيمة ٤٠٠ مليون دولار في الشهر -مساعدات روسية إيرانية - فإيران تعتبر المنقذ والمخلص للاقتصاد والنظام السوري، الذي اقترض في سنة ٢٠١٣ حوالي ٣,٦ مليار دولار من إيران مع سهولة التسديد، كما أن الحليف الروسي لا يتوانى عن الدفاع عن الاقتصاد السوري حيث وقّع الجانبان اتفاقية تمنح بموجبها دمشق لشركات روسية التنقيب عن "الهيدروكربورات" في أعماق البحار السورية، فسوريا النظام واقفة اليوم بدعم الحلفاء القوي -روسيا وإيران - عسكرياً واقتصادياً^{٣٧}.

الاقتصاد السوري كان جزءاً من الأزمة التي أشعلت فتيل الثورة إلى جانب طبيعة النظام السياسي الذي كانت له قبضة من حديد، فالأنظمة الدكتاتورية لا تعرف معنى التقسيم العادل للثروة وتعتبر كل ما تملكه الدولة هو ملك للنظام، فمعظم الدول العربية ومنها سوريا لا تتوفر على اقتصاد مؤسساتي شفاف، بل هي أنظمة قائمة على الميكيفالية في الحكم، وشرعنة الاستئثار بالسلطة وما تقوم عليه من تحكم في الاقتصاد وكل ما يوجد فوق وتحت الأرض هو ملك لها، اقتصاد طبقاته يشوبها اختلال كبير وفوارق اجتماعية توجب من الحقد والاحتقان الاجتماعي الذي يؤدي لا مفر وعبر التاريخ إلى ثورات شعبية جارفة.

٣- تأثير الحرب السورية على الدول العربية والإقليمية.

بعد سقوط العراق وانهيار مؤسسات الدولة العراقية وما خلفه من نتائج سلبية على المنطقة العربية، بالنظر إلى المكانة التي كانت تحتلها اقتصادياً وعسكرياً وعلمياً وفكرياً، والدور الذي لعبه العراق في إيقاف مد الثورة الإيرانية ومحاولة تصديرها إلى المنطقة العربية، جاء الدور على سوريا اعتباراً للموقع السوري في الشرق الأوسط، والدور المحوري لسوريا في تاريخ وحاضر القضايا العربية، سوريا القومية التي كانت تتزعم محور الممانعة ضد كل التربصات الخارجية والاختراقات، كان من الطبيعي أن تتأثر بسقوطها جميع الدول العربية خصوصاً وأن سوريا كانت تشكل الركيزة الثانية قبل انهيار العراق، التي يستند عليها العرب في الشرق الأوسط من أجل صد كل محاولات التدخل والتشتيت، وكذلك الدور الذي كان بالإمكان أن تلعبه من أجل أي تقارب عربي إيراني لمتانة العلاقات بينهما.

إن من أهم الآثار السلبية للحرب في سوريا على المنطقة العربية هو تكريس منطق الطائفية والمذهبية، وما تجره من ويلات شبح التقسيم داخل الدولة الواحدة خصوصاً بعد دخول "حزب الله" وإيران وإعطاء القتال في سوريا إلى جانب نظام الأسد طابع المذهبية، حيث اشتعلت جبهات صراع في العراق ولبنان واليمن والبحرين، كما أن الانقسام الذي أحدثته تمثيلية سوريا في الجامعة العربية كاد أن يعصف بالجامعة؛ لتضارب المصالح في النزاع السوري، بين مؤيد ومعارض لنظام الأسد واستمراره في تمثيل الشعب السوري.

كذلك فإن تحوُّل الساحة السورية إلى باب مفتوح أمام المقاتلين الأجانب والجماعات المسلحة المتطرفة، يهدد الدول المحيطة في أمنها القومي؛ وذلك لتوسع نشاط تلك الجماعات وسيطرتها على مناطق وأراض كبيرة وموارد طبيعية مهمة، مما يمكنها من تمويل نفسها بشكل ذاتي ويجعلها أكثر قوة وخطورة، فالجماعات المقاتلة في سوريا وخصوصاً تنظيم "داعش"، له أطماع كبيرة ومخططات تخريبية فكرية وعسكرية، حيث أصبح فكره وعنفه يتجاوز الحدود السورية للضرب في مناطق خارجها كالسعودية وتركيا وفرنسا وليبيا.

إن المتأمل في خريطة الشرق الأوسط، وموقع سوريا كقوة وسط "Puissance du Milieu" في منطقة حساسة بين الشرق والغرب، يتذكر عبارة "نابوليون بونابارت": "إن سياسة الدولة تكمن في جغرافيتها"، ويتوجب أخذ هذا بعين الاعتبار بالنظر إلى الجوار الصعب لسوريا، فبلد عتيق كهذا، يضح بالتاريخ، والحضارات، والجيوبوليتيك الحيوي والمتطور، يصعب جعله لاعباً ثانوياً، وفيه حلم إمبراطوري دفين من الأمويين إلى البعثيين، رغم إنكار تنوعه الإثني والديني من طرف البعض، فسوريا قلب العروبة وموطن الأكراد وغيرهم، ومهد الديانات التوحيدية... تُستخدم كساحة صراع مفتوحة، يكشف فيها معسكر اللاعبين الإقليميين عن أوراقه، فسقوط دمشق تعتبره إيران سقوط لطهران لهذا فهي تنزل بكل ثقلها في الصراع، كما أن تركيا ليست أحسن حال من إيران بحكم القضية الكردية وانعكاسها على الداخل التركي؛ لتواجه حدود مشتركة تفصل أكراد تركيا عن أكراد سوريا، وكذلك تواجه "الترکمان" بسوريا واعتبار تركيا نفسها المدافع الأول عنهم من كل اعتداء أو اضطهاد^{٣٨}.

أمام محاولات زرع الفتنة الطائفية، وتكريس منطق الحرب الأهلية التي تقودها قوات خارجية في حرب غير واضحة المعالم، الخطير فيها هو محاربة الكل للكل وهو ما يحيلنا إلى شبح التقسيم الذي ستكون عواقبه كارثية على الدول العربية والمنطقة ما إن تم ذلك، فالدول الإقليمية تنفذ خططها على الأرض بواسطة مليشيات ودعم عسكري ولوجستيكي، غير أن الأوامر العليا تأتي من القوى العالمية التي تبقى الأمر والنهي في الصراع السوري، في انتظار الاتفاق على سايكس-بيكو الجديدة، فالفوضى التي تعرفها سوريا وانتشار السلاح والجماعات المسلحة وتدخل أكثر من لاعب في "حرب مختلطة ومركبة"، لا يمكن أن تستمر طويلاً دون أي تدخل عاجل من الأمم المتحدة أو الدول العربية على غرار ليبيا واليمن، لأن عواقب ذلك سيتحمله العرب أنفسهم.

^{٣٨} - د. خطار أبو دياب، "الفوضى الاستراتيجية: النزاع السوري واحتمالات "التفكك" في المشرق العربي."، السياسة الدولية، العدد يناير ٢٠١٤ المجلد ٤٩. ص

نشهد اليوم في سوريا "لعبة كبرى جديدة" بعد لعبة كبرى عرفتها المنطقة في القرن التاسع عشر، بين بريطانيا العظمى وروسيا القيصرية حول الهند، سوريا المعقل الوحيد للنفوذ الروسي المتجدد بعد غياب لعقدين من الزمن، والتي تشكل ممراً رئيسياً للنفوذ الإيراني الحالم بعودة الإمبراطورية الفارسية، أمام الولايات المتحدة التي تخوض لعبة حذرة، مراعاة لمصالح إسرائيل، وتطبيقاً لنهج جديد أرساه "باراك أوباما"، وقوامه استبعاد التدخل المباشر في استخلاص لحصيلة الحربين في أفغانستان والعراق، أما فرنسا وبريطانيا اللتان كانتا لاعبتين أساسيتين في تقسيم المشرق العربي في القرن الماضي، يقفان الآن وقفة المتفرج لأفول نفوذ يُذكر بمرحلة ما بعد حرب السويس في عام ١٩٥٦م، وانعكاسها على الحضور الأوروبي، كذلك نجد القوى الإقليمية المنخرطة إلى جانب المعارضة السورية - تركيا والمملكة العربية السعودية وقطر - لا يمكن أن تخرج عن رنامة العمل الأمريكية وتجد نفسها مضطرة للتقيد بها^{٢٩}.

إن النزاع السوري خرج من ثورة ضد نظام إلى نزاع ذو أبعاد إقليمية وعالمية، حيث تختلط فيه أوراق اللعب الدولية، فالأمن القومي التركي المهدد بقيام دولة كردية على حدودها يجعل تركيا لا تتأخر في لعب دور كبير في النزاع السوري من أجل منع ذلك، وهي التي تحارب الأكراد على أكثر من صعيد في تركيا والعراق والآن في سوريا، و"حزب الله" الذراع العسكري لإيران في المنطقة وحامي مصالحها، والذي كانت له حاضنة سورية من طرف نظام الأسد تضغط بها على "إسرائيل"، له أسباب جعلته داخل الصراع السوري وبييعاز من إيران الحليف الأول للطرفين، من أجل تعزيز النفوذ الشيعي في المنطقة خصوصاً بعد استقواءه في العراق بعد الاحتلال الأمريكي، وكذلك الاتفاق الأمريكي الإيراني الأخير وشبه التقارب الذي عرفته دبلوماسية البلدين، كل تلك العوامل جعلت دول الخليج وعلى رأسها المملكة السعودية تتدخل من أجل حماية مصالحها في المنطقة والتي أصبحت مهددة ومطوقة من الشمال والجنوب والشرق والغرب.

إن تعقيد القضية الكردية والألغام الإيرانية والراديكالية المتشددة، وكذلك المصالح الإسرائيلية، تساعد على تمزيق النسيج السوري والمشرقي، حيث سبق أن نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية في سبتمبر ٢٠١٣ خريطة تظهر

^{٢٩} - د. خطار أبو دياب، "الفوضى الاستراتيجية: النزاع السوري واحتمالات "التفكك" في المشرق العربي"، السياسة الدولية، العدد يناير ٢٠١٤ المجلد ٤٩. ص

فيها خمس دول بالشرق الأوسط، وقد قسمت إلى أربعة عشرة دولة، وذلك بفعل النزاعات الطائفية والسياسية الدائرة حالياً وفقاً للمحلل "روبين رايت"، حيث تم تقسيم سوريا إلى ثلاث دول، هي: "الدولة العلوية، وكردستان السورية، والدولة السنية". وتم أيضاً تقسيم السعودية إلى خمس دويلات، وذلك وفقاً لحسابات قَبَلِيَّة وطائفية، نتيجة خلافات الجيل الشاب من الأمراء، على أن تكون الدويلات على الشكل الآتي: "السعودية الشمالية، والشرقية، والغربية، والجنوبية، والدولة الوهابية، وقد شمل التقسيم أيضاً دولاً أخرى كالعراق وليبيا واليمن، إلا أن ذلك يبقى مجرد سيناريوهات ورقية، أما الحدود فسترسم بشلالات من الدماء بعد سقوط منطق التسوية"^{٤٠}.

لقد وصل الصراع في سوريا إلى نقطة خطيرة، فكل طرف يقدم استماتة في القتال والعنف دون أن تميل الكفة لصالح جهة معينة على أرض المعركة، وتظل النقطة الرئيسية في الصراع بقاء الأسد الذي يتشبث به حلفاءه مقابل مطالب برحيله من طرف خصومه، فاخترال سوريا في شخص الأسد يعتبر إذلالاً للشعب السوري بأكمله، وأمام تعنت الأطراف تظل سيناريوهات التقسيم أقرب الحلول إن لم تتفق وتقدم تنازلات لإخراج الشعب السوري من اليأس والقتل وكابوس الحرب الذي أصبح يعيشه يومياً، أما الدولة السورية ومؤسساتها فتلزمها سنين عديدة من أجل البناء وإعادة الهيكلة بشكل ديمقراطي ومؤسساتي تذوب فيه الطائفية وتحضر الوطنية، سوريا يكون فيها "الدين لله والوطن للجميع".

^{٤٠}- د. خطار أبو دياب، "الفوضى الاستراتيجية: النزاع السوري واحتمالات "التفكك" في المشرق العربي."، السياسة الدولية، العدد يناير ٢٠١٤ المجلد ٤٩. ص

الفصل الثالث: فرصة الحل السياسي في سوريا وإمكانية نجاحه.

يقال إن الحرب امتداد للدبلوماسية، غير أن هذه المقولة لا تنطبق على الحرب في سوريا لاعتبارات عدة، فالحرب السورية ليست حرباً تقليدية بين دولتين حول الحدود أو حول منطقة متنازع عليها، بل هي حرب دولية مصغرة مختلطة الدوافع والمصالح، انصهرت فيها مطالب الشعب السوري بالحرية بمصالح وأطماع الدول الإقليمية والدولية، فعندما تكون الحرب واضحة المعالم والمسببات يكون الحل معها سهلاً وممكناً، فتعقيد المسألة السورية ينعكس على الحل السياسي، حيث يشارك في التسوية أكثر من طرف وعلى مستويات مختلفة من قطبي القوى العالمية إلى أصغر فصيل مقاتل في سوريا.

لقد كثرت المبادرات والخطط المطروحة لإيجاد حل سياسي للأزمة السورية، وذلك دون أن تخفف عن الشعب السوري ويلات الحرب بالرغم من مرور أربع سنوات على بدايتها، كما أن إمكانات الحل المأمول الفعلية ومتحققاته لا تزال بعيدة المنال، مع اعتقاد النظام السوري أنه لا زال بإمكانه القضاء على معارضييه مقابل اعتقاد المعارضة بإمكانيتها في إسقاط النظام السوري وإزاحته عن الحكم.

إن من أجدديات علم السياسة أنه للتوصل إلى حل سياسي لأي أزمة سياسية، يجب على الأطراف المتصارعة الاحتكام إلى حقل السياسة وأن توليه اهتماماً، أو يفرض عليها حل سياسي من طرف قوى دولية بوصفها ضامناً لنجاحه، وهو الشيء الذي لم يحدث في الأزمة السورية^{٤١}.

المبحث الأول: دور التشكيلات العسكرية والمنظمات المدنية في الإنخراط في الحل السياسي.

لقد استنزف النزاع المسلح في سوريا الكثير من الأرواح، وخلف خسائر كبيرة أثرت على الدولة في جميع المجالات، حيث شرد نصف الشعب السوري وتفرق اللاجئون على مختلف الدول، ودُمّر الاقتصاد وانهارت مؤسسات الدولة...، فلم تعد سوريا دولة بالمفهوم التقليدي للدولة، حيث أصبحت تتقاسم الأراضي السورية مليشيات وجماعات مسلحة وبقايا النظام، الكل يحارب الكل في سوريا، والكل يريد تطبيق خطته وقوانينه وتحقيق طموحاته السياسية ومصالحه الاستراتيجية، كل تلك العوامل تجعل من إيجاد الحل السياسي ضرورة ملحة، لكنها صعبة وجدّ معقدة.

١- المفاوضات وبداية الطريق للحل السياسي:

لقد اجتمعت الأطراف السورية في عدة محطات تفاوضية لإيجاد حل سلمي وسياسي للنزاع المسلح في سوريا، غير أن تلك الاجتماعات لم تسفر عن نتائج تُعجّل بحل نهائي ويوقف الحرب الدائرة، حيث تدخل اعتبارات كثيرة تعرقل مسار الحل السياسي وذلك لعدم تفاوض جميع الأطراف المعنية خصوصاً التي تحمل السلاح وعدم مشاركتها في العملية السياسية في أول الأمر، وكذلك عدم إيمان بعض التنظيمات المسلحة بالمفاوضات أصلاً، فالتنظيمات المسلحة في سوريا تختلف عن بعضها البعض من حيث المرجعية والأهداف، وذلك ما يجعل من دخولها في مفاوضات من أجل إيجاد حل سلمي للأزمة السورية أمراً معقداً، كما أن هناك بعض الجماعات التي جعلت من الحرب غاية لها وليس وسيلة من أجل تحقيق هدف سياسي معين، لكن ذلك لن يمنع من سلوك طريق التفاوض وإنهاء الحرب في سوريا، كما أن تلك المفاوضات كانت تصطدم دائماً بمعوقات تُرجعها إلى تأثير القوى المتدخلة في الأزمة السورية، حيث تبقى الأطراف المعنية رهينة إملاءات الدول الداعمة لها، كذلك الجولات السابقة والتي عقدت في دول مختلفة كالمغرب وروسيا وسويسرا...، كانت دون جدوى لبعث الأطراف المتفاوضة عمّا يقع في أرض المعركة.

أشار الرئيس السابق للمفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة السيد "أنطونيو غوتيريز" أن الدولة السورية قد تختفي إن لم تنتهِ الحرب سريعاً: "إذا لم ينتهِ النزاع سريعاً، ستكون النهاية بالنسبة لسوريا كدولة ليس على الشكل

الذي نعرفها عليه الآن، وكذلك الشأن بالنسبة للعراق"، وذلك في خطاب له أمام مجلس الأمن في "نيويورك" الإثنين ٢١ ديسمبر ٢٠١٥م، وقد أمل السيد "غوتيريز" في أن تتوصل الأطراف السورية إلى حل سلمي للأزمة في المفاوضات القادمة في "فيينا" على أن يجعل المجتمع الدولي من ذلك أولى الأولويات، كما حذّر من "أن يتحول الانقسام الطائفي إلى حروب دينية في منطقة الشرق الأوسط كالتي اجتاحت أوروبا في القرنين السادس والسابع عشر، فالدروس المستفادة من التاريخ أن السلام لا يمكن أن ينتظر"^{٤٢}.

غير أن مؤتمر الرياض للمعارضة السورية كان بالغ الأهمية وذلك لسبب رئيسي، وهو استدعائه للمعارضة المسلحة بمختلف توجهاتها، وحضر ممثلون عن الفصائل المسلحة وممثلون عن الائتلاف السوري المعارض ومستقلون، من أجل تشكيل لجنة لإدارة المفاوضات مع الحكومة السورية، وذلك رغم اعتراض العديد من الدول بحجة أن هناك جماعات متطرفة ومصنفة في لائحة "الإرهاب"، حيث جمع المؤتمر كلاً من فصائل الجبهة الجنوبية والجبهة الشمالية وجيش الإسلام وأحرار الشام ومستقلين وأعضاء من الائتلاف، حيث أكد المؤتمر على ضرورة تنحي الأسد كشرط لأي عملية سلمية ولو في مرحلة انتقالية"^{٤٣}.

لقد كان مؤتمر الرياض خطوة مهمة نحو توحيد المعارضة وجمع كلمتها حتى تكون مفاوضاً قوياً ومحط ثقة المجتمع الدولي، كما تمكّن المؤتمر من جمع جماعات كانت تُوصف بالمتطرفة والتي يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في العملية السياسية، فتأثير دولة لاعبة إقليمية كالمملكة السعودية بدا واضحاً وذلك لثقل المملكة السياسي والديني الذي تستطيع به إقناع الجماعات المسلحة خاصة السنية في تبني العملية السلمية والالتزام بها، كما بدا واضحاً محاولة جلب "جبهة النصرة" ودعوتها لفك الارتباط مع "تنظيم القاعدة" للانخراط في العملية السياسية، فمشكلة التنظيمات المسلحة في سوريا هي انقسامها إلى ثلاثة أقسام قد تنعكس سلباً على العملية السياسية إن لم تتمكن الدول الإقليمية من احتواءها، خصوصاً المملكة السعودية وقطر وتركيا.

^{٤٢} - Antonio Guterres « la syrie cessera d'exister » si aucun accord de paix n'est conclu. Haut commissariat des Nation Unies pour les Réfugiés. www.newspress.fr 04/01/2016

<http://www.alriyadh.com>

^{٤٣} - أسهمان الغامدي، مقال صحفي جريدة الرياض حول مؤتمر الرياض، ١٩ ديسمبر ٢٠١٥

٢- انقسام التنظيمات في النزاع السوري وانعكاسه على العملية السياسية:

تنقسم التنظيمات المسلحة في سوريا إلى عدة أطراف ذات أبعاد أيديولوجية مختلفة، وذلك مما يؤثر أيضًا على مدى قابليتها للتجاوب مع عمليات السلام أو رفضها من الأساس، حيث يمكن القول أن الساحة السورية بالإضافة إلى قوات النظام والمليشيات المقاتلة معه، تضم معارضة مسلحة متشددة لكنها سورية المقاتلين وثورية الأهداف، تتمثل في القوات الإسلامية على اختلاف أطرافها، وقوات معارضة معتدلة رغم حملها للسلح (الجيش السوري الحر والذي أصبح يضم قوات إسلامية أيضًا)، وجماعات مسلحة متطرفة لها أهداف خارج اهتمامات الشعب السوري وتخدم أجندتها الخاصة (تنظيم الدولة الإسلامية)، فمن خلال هذا التقسيم يتبين لنا مدى التعقيد الذي تعرفه الأزمة السورية.

-المعارضة الإسلامية وإمكانية الانخراط في العملية السلمية:

تشمل هذه الفئة المعارضة المسلحة والتي تتمثل في القوات الإسلامية المدعومة من المملكة السعودية وقطر وتركيا، ورغم تشدد هذه المجموعات المسلحة من حيث الفكر غير أنها تسعى للإطاحة بالأسد كخيار أول، كما أنها حافظت على علاقتها بباقي المعارضة السورية وأطرافها مما يجعل من استدراجها لتبني العملية السلمية أمرًا ليس صعب المنال، كون هذه المجموعات المسلحة تدافع عن المصالح السنية في سوريا ولن يمنعها ذلك من الاتحاد مع باقي قوى المعارضة من أجل القضاء على العدو المشترك وهو نظام الأسد.

إن الإشكال الذي تعاني منه القوات المناهضة للنظام، هو الانقسام الفكري والإقليمي الذي تعرّض من خلال المصالح المتنافسة للرعاة الخارجيين وأجنداتهم المتنافسة بين المملكة السعودية وقطر وتركيا، فمنذ سنة ٢٠١١ والحرب في سوريا تفرز عدة فصائل وألوية وتحالفات في مناطق مختلفة من البلاد، إلا أنها سرعان ما تختفي مع نقص الدعم المالي والعسكري الخارجي، وتغير الحسابات الجيوسياسية، حيث قامت الفصائل السلفية بقمع ومحاربة الفصائل القومية الأخرى المنافسة، وذلك بمشاركة جبهة "النصرة" المصنفة "إرهابية" من أجل توحيد الطوائف الدينية، غير أن تلك الحملة عرفت معارضة شديدة من بعض الجماعات حيث أعلنت "الجبهة الجنوبية" انفصالها عن جبهة "النصرة"

واستبعاد أي تعاون عسكري معها، والتزامها بالكفاح الوطني، إلا أن تقدم جبهة "النصرة" عسكرياً جعل الكثير من الفصائل السورية تطالبها بفك ارتباطها مع تنظيم "القاعدة" وتشكيل كيان جديد لتوحيد الصف أمام جيش النظام^{٤٤}.

لقد أصبح توحيد المجموعات المسلحة في إطار واحد مشترك ضرورة ملحة تفرضها ظروف الحرب في سوريا، وذلك من أجل استثمار التقدم الذي تحرزه تلك المجموعات على الأرض وعدم تضييعه بسبب خلافات أيديولوجية، ففي النهاية يمكن إنشاء دستور يوحد البلاد ويحفظ لكل طرف حقوقه الدينية والعرقية، لكن استمرار التشتت والخلاف قد يستغله النظام لتحقيق تقدمه واستغلال الصراع بين الجماعات المسلحة لاستنزافها عسكرياً، واستغلال ذلك دبلوماسياً بحجة غياب مفاوضات موحدة يُجمع عليه الشعب السوري.

– المعارضة السورية المعتدلة بجميع أطيافها:

تشمل المعارضة السورية المعتدلة بشكل رئيسي "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية"^{٤٥} و"الجيش الحر"، وتلقى هذه المعارضة قبولاً دولياً لمرجعيتها غير المتشددة، ورصيدها النضالي قبل نشوب الثورة السورية، حيث تلقى دعماً من دول غربية كفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن حذرَ الدول الداعمة لها خصوصاً فيما يتعلق بالتسليح العسكري جعل منها الحلقة الضعف في النزاع المسلح، ولو أن الدول الغربية كان في نيتها دعم الثوار المعتدلين عسكرياً لقامت تلك الدول بدعمهم جواً كما فعلت روسيا مع نظام الأسد الذي يلقي دعماً جويّاً من روسيا، وبرياً من طرف مليشيات "حزب الله" و"الحرس الثوري الإيراني"، غير أن نقطة قوة المعارضة المعتدلة خصوصاً "الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية" هو قدرتها على جمع العشائر وعلماء الدين السوريين والأكراد والجيش الحر وتأثيرهم على الشعب السوري والمجتمع الدولي من أجل فرض حل سياسي للأزمة السورية.

^{٤٤} - رشاد القطان، "معضلة المعارضة السورية: مكاسب عسكرية بلا أفق سياسي"، تقرير منشور على موقع مركز الجزيرة للدراسات.

<http://studies.aljazeera.net>

^{٤٥} - ائتلاف سوري معارض تشكل عام ٢٠١٢ عقب اجتماع بالعاصمة القطرية الدوحة، من أهدافه تنظيم الثورة ودعمها والعمل على إسقاط نظام بشار الأسد، وتأسيس دولة مدنية ديمقراطية لا تقصي أحداً. للمزيد المرجو تفحص موقع الائتلاف على الإنترنت. [/http://www.etilaf.org](http://www.etilaf.org)

– تنظيم الدولة "داعش" الحلقة الغامضة في النزاع السوري:

يعتبر تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" الشماعة التي يعلق عليها الجميع فشلهم أو نجاحهم، وكذلك يبرر بها الجميع تدخله في الشأن السوري، فالكل يدعي محاربة ذلك التنظيم "الإرهابي" حسب لوائح الأمم المتحدة للتنظيمات "الإرهابية"، ولا أحد يرحب به كشريك للسلام، غير أن الجميع يحتاجه لتبرير وجوده وإعطاء شرعية لقتله الشعب السوري، فنظام الأسد يقول أنه يحارب "الإرهاب" حيث يخلط بين جميع الفصائل التي تقاتله، والتدخل الروسي كان بدافع محاربة "داعش"، وكذلك الولايات المتحدة التي تدعي محاربة التنظيم وأن سبب امتناعها عن تسليم الثوار هو خوفها من وقوع السلاح في يده، لكن حقيقة الأمر تبين أن الرابع الأكبر من النزاع المسلح في سوريا هو تنظيم "داعش" الذي يزداد قوة يوماً بعد يوم رغم أنه يقاتل على جبهات مختلفة.

تنظيم "داعش" لا يمكنه المساهمة في العملية السلمية في سوريا لأن أهدافه مختلفة عن الجميع، فهو يحارب من أجل قيام دولة الخلافة كما أعلن في عدة مناسبات، كما أن تكوينه والعدد الكبير من المقاتلين الذين يضمهم من جنسيات مختلفة، لا تجعله يتبنى موقفاً قومياً ووطنياً في القضية السورية لأنها لا تهمه في الأساس فهو على استعداد للتفاوض مع النظام على حدود دولته المزعومة، حيث أصبح التنظيم يسيطر على أكبر نسبة من الأراضي في المنطقة، كذلك فالوقت في نظرنا لم يحن بعد من أجل محاربة التنظيم فعلياً من طرف المجتمع الدولي؛ حتى يضمن كل طرف مصلحته في سوريا والاتفاق على "سايكس-بيكو" جديدة ومن ثم يتم القضاء على التنظيم أو بعبارة أصح ينتهي دور التنظيم في الأزمة السورية.

المبحث الثاني: دور الأمم المتحدة والدول المعنية في الصراع السوري في إنهاء الحرب.

مع استمرار الصراع في سوريا في التمدد والانتشار، يتضح جلياً ازدواجية الولايات المتحدة بشأن حله، حيث مع مرور السنوات الأربع للأزمة انتظر معارضو الأسد عبثاً ظهور سياسة متماسكة للولايات المتحدة تعلن فيها تدخلاً عسكرياً لإسقاط نظام الأسد، واحتواء تزايد النفوذ الإقليمي الإيراني في المنطقة، فمن أجل الحفاظ على المكتسبات العسكرية الأخيرة تحتاج المقاومة إلى فرض حظر جوي لحماية الشعب السوري من الضربات الجوية العشوائية، وتوفير نموذج حكم محلي في المناطق المحررة، وإنشاء غطاء جوي للشوار في تقدمهم على غرار ما تفعله روسيا مع النظام^{٤٦}.

لقد أخرج النزاع السوري المجتمع الدولي متمثلاً في مؤسسة الأمم المتحدة المكلفة بحماية السلم والأمن الدولي، وكذلك الدول اللاعبة في الساحة الدولية، بعد أن كان تدخلهم سريعاً في الأزمة الليبية خصوصاً من أجل إسقاط نظام "معمر القذافي".

١- الأمم المتحدة ودورها في وقف النزاع السوري:

لقد كان للتحويلات التي عرفها النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة، أثر بليغ في أداء الأمم المتحدة وتحقيق أهدافها، خصوصاً فيما يتعلق بحفظ السلم والأمن الدولي وإدارة الأزمات الدولية، كما بدا جلياً أن الولايات المتحدة الأمريكية مصرّة على فرض رؤيتها في إدارة أزمات ما بعد الحرب الباردة على الجميع، فإذا توافقت رؤيتها مع رؤية بقية الدول الكبرى، تحرك آلية الأمن الجماعي والتحرك من داخل مجلس الأمن -مثل حرب الخليج الثانية- أما إذا اختلفت الرؤى فالولايات المتحدة الأمريكية تسمح لنفسها بالبحث عن آليات أخرى، كحلف الناتو حيث حصل ذلك في التدخل في كوسوفو، حيث تم التدخل دون موافقة أو تفويض مجلس الأمن^{٤٧}.

^{٤٦} - رشاد القطان، "معضلة المعارضة السورية: مكاسب عسكرية بلا أفق سياسي"، تقرير منشور على موقع مركز الجزيرة للدراسات.

<http://studies.aljazeera.net>

^{٤٧} - د. فتيحة ليتيم، نحو إصلاح منظمة الأمم المتحدة لحفظ السلم والأمن الدوليين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى أبريل ٢٠١١. بيروت، ص ٧٧.

غير أن الواقع المر يقول إن النظام الأحادي القطبية الذي كانت تقوده الولايات المتحدة بعد الحرب الباردة، لم يعد له وجود أو على الأقل لم يعد بالحدة التي كان عليها في بداية التسعينيات، فروسيا خرجت من الإنكماش الذي كانت تعاني منه جراء الإرث الثقيل لأزمات الاتحاد السوفياتي، وكذلك حليفها الرئيسي التنين الصيني الذي أصبح ينمو يوماً بعد يوم، رغم حفاظه على عدم الدخول بشكل فعلي في السياسة الدولية وبشكل مباشر مع الحفاظ على التأييد المطلق لروسيا في مجلس الأمن، مع هذه المتغيرات على الساحة الدولية، أصبحنا أمام مشكلة كبيرة تعرفها الأمم المتحدة، خصوصاً في مؤسسة مجلس الأمن الموكل لها الحفاظ على السلم والأمن الدولي، حيث أصبح ذلك رهيناً بمصالح دول الفيتو.

حاول مجلس الأمن استصدار قرارات تدين العنف الذي يمارسه بشار الأسد على الشعب السوري، والتوصل إلى حل سياسي للأزمة لكن التعتن الروسي والصيني - ولو بشكل أقل - كان دائماً يعرقل تلك الجهود الدولية، حيث تقدمت دول كفرنسا والولايات المتحدة بمقترحات للمجلس من أجل فك العزلة عن الشعب السوري ووقف تقتيله، إلا أن الفيتو الروسي كان بالمرصاد ونكاد نقول أن استصدار قرار من مجلس الأمن يُجمع عليه الكل أمرٌ شبه مستحيل لغموض اللعبة الدولية في سوريا.

لقد اعترضت روسيا والصين على قراراتين لمجلس الأمن يتعلقان بالأوضاع في سوريا، ويتضمنان التدخل من أجل إنقاذ المدنيين السوريين، ودعوة بشار الأسد لترك السلطة، وذلك بتاريخ ١٤ / ١٠ / ٢٠١١ و ٤ / ٢ / ٢٠١٢، حيث بدأت تنكشف جدية الصراع الدولي في سوريا، من خلال الانقسام الدولي حوله في تقييم الأحداث هناك، وقد أدى التضارب في المواقف إلى فشل الجامعة العربية أيضاً في القيام بأي دور في تدبير هذا النزاع، عكس الإجماع الذي حدث في شأن التدخل العسكري في ليبيا من أجل حماية المدنيين، فالانقسام بين الثوار في شأن أي تدخل أجنبي كذلك انعكس على الانقسام العربي في اتخاذ رؤية موحدة حول الشأن السوري^{٤٨}.

^{٤٨} - محمد عبد الحفيظ شيخ، أبعاد التدخل الإنساني للأمم المتحدة في أحداث الثورات العربية (البيبا وسوريا نموذجاً)، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدا ٤٣ و ٤٤ صيف خريف ٢٠١٤، ص ١٣٨

إن الأمم المتحدة بحكم الميثاق هي المخول لها قانوناً بالتدخل في سوريا من أجل فرض الحل السياسي والسلمي للأزمة السورية، ولو تطلب الأمر تدخلًا عسكريًا من أجل فرض ذلك، حيث إن مجلس الأمن يتوفر على صلاحيات قانونية من أجل القيام بذلك حسب ميثاق الأمم المتحدة، كالفصل السابع الذي يُبيح لمجلس الأمن وحده بعد اتخاذ مجموعة من التدابير استعمال القوة من أجل الحفاظ على السلم والأمن الدولي والقضاء على كل ما يهدده، غير أن هذه الأشكال من النزاعات المسلحة والتي تتحكم فيها مجموعة من الدول الكبرى، تثبت مدى محدودية الدور الذي يمكن للأمم المتحدة أن تلعبه لفرض حل سياسي في سوريا.

أكد مجلس الأمن في قراره ٢٢٤٥ / ٢٠١٥ على سيادة الجمهورية العربية السورية واستقلالها ووحدتها وسلامتها الإقليمية، ويُعرب عن قلقه إزاء استمرار معاناة الشعب السوري، وتدهور الحالة الإنسانية الأليمة، واستمرار الصراع الدائم والعنف الوحشي المتواصل الذي يتسم به، والأثر السلبي للإرهاب والأيديولوجية المتطرفة العنيفة في دعم "الإرهاب"، وما تخلّفه الأزمة من أثر مزرع للاستقرار في المنطقة وخارجها، ويزيد القرار بأن الحالة ستستمر في التدهور في ظل غياب الحل السياسي، حيث يشير القرار إلى المطالبة بأن تتخذ جميع الأطراف كل الخطوات لحماية المدنيين، بمن فيهم أفراد الجماعات الدينية والعرقية والمذهبية، وأن السلطات السورية تتحمل كامل المسؤولية في حماية سكانها، ويكرر القرار التأكيد على أنه ما من حل دائم للأزمة الراهنة في سوريا إلا من خلال عملية سياسية جامعة بقيادة سورية تلبى التطلعات المشروعة للشعب السوري، بهدف التنفيذ الكامل لبيان جنيف المؤرخ ٣٠ يونيو ٢٠١٢، الذي أيدته القرار ٢١١٨ / ٢٠١٣، وذلك بسبب منها إنشاء هيئة حكم انتقالية جامعة تخول سلطات تنفيذية كاملة، وتعتمد في تشكيلها على الموافقة المتبادلة، مع كفالة استمرارية المؤسسات الحكومية^{٤٩}.

فقرارات مجلس الأمن بشأن سوريا أصبحت كالمجاملات، حيث يتفادى فيها المجلس إغضاب أي طرف من الأطراف الدولية، وذلك راجع إلى تعقيد المسألة السورية التي لم تعد أزمة بين الثوار والنظام، بل تحولت إلى أزمة دولية تبحث فيها الدول الكبرى عن كيفية تثبيت مصالحها الاستراتيجية وضمان حمايتها، مجلس الأمن أصبح عاجزاً وقد تبين ذلك

في أزمات سابقة -احتلال العراق- على أن يفرض حلاً على الدول الأعضاء أو أن يكون فعالاً في حماية السلم والأمن الدولي وحماية الشعوب المستضعفة، وقد تبين ذلك أيضاً من خلال عجزه عن اتخاذ إجراءات صارمة جراء استخدام الجيش السوري للأسلحة الكيماوية مع العلم أن سوريا من الدول الموقعة على بروتوكول منع استخدام الأسلحة الكيماوية، إن مجلس الأمن لا يمكنه أن يكون طرفاً في إيجاد حل سلمي للحرب في سوريا، إلا في حالة أن يستخدم الصلاحيات الممنوحة له من خلال ميثاق الأمم المتحدة وهذا يكاد يكون شبه مستحيل لأن الدول الدائمة العضوية فيه هي نفسها سبب الأزمة.

لقد أثبتت تطورات الأحداث في سوريا، ضعف وارتباك العامل الدولي في دعم التغيير في سوريا، وذلك بالمقارنة مع الحضور في أزمات أخرى، حيث يظل الخيار العسكري الأممي للتدخل من أجل حسم الصراع وإسقاط نظام الأسد صعباً، خصوصاً وأن هناك عدداً من القوى الإقليمية والدولية الراضية لهذا العمل كروسيا وإيران، مما يشجع النظام السوري على ارتكاب المزيد من المجازر ضد الشعب السوري، كما أن تركيز المحللين والباحثين على الجوانب السياسية والعسكرية والانعكاسات الاقتصادية للأزمة، يؤثر بشكل سلبي على النقاش حول الصعوبات والمعاناة الإنسانية التي يكابدها السوريون داخل البلاد وفي مخيمات اللاجئين^{٥٠}.

بعد فشل السيد "الأخضر الإبراهيمي" الدبلوماسي الجزائري المبعوث الأممي الخاص في سوريا، تم تعيين السويدي "ستيغان دي ميستورا" مبعوثاً جديداً للأمين العام للأمم المتحدة، من أجل تقريب وجهات النظر بين المعارضة السورية والنظام وكذلك بين القوى الكبرى المعنية في الصراع، وحث أطراف النزاع على وقف إطلاق النار والدخول في مرحلة سياسية انتقالية وتحديد بداية شهر يناير لبدء مباحثات جدية بين جميع الأطراف، وتشكيل حكومة انتقالية في ظل الستة أشهر القادمة حيث يدعم مجلس الأمن هذا الطرح، باعتباره السبيل الوحيد لحل الأزمة السورية، وتطبيق أحكام بيان جنيف الصادر يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٢ الذي دعمه في قرار ٢١١٨ / ٢٠١٣ المذكور أعلاه، تبقى مسألة خروج الرئيس

^{٥٠} د. إدريس لكريني، ما هي أسباب استعصاء حل الأزمة السورية؟، اتجاهات الأحداث، دورية أكاديمية تصدر عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة الإمارات، عدد ١٤ أكتوبر ٢٠١٥. ص ٢٢.

السوري هو الإشكال العالق بين المعارضة والنظام وكذلك بين الدول الغربية وروسيا، غير أنه مع صعود قوة "الدولة الإسلامية" وخطورتها، جعل الدول الغربية تغيير من لهجتها بشأن رحيل بشار الأسد^{٥١}.

٢- دور الدول الكبرى والإقليمية في وقف الحرب في سوريا:

إن الدور الذي تلعبه الأطراف الخارجية في الأزمة السورية ظاهر للعيان، فهي التي تتحكم في الأمور بجهاز التحكم عن بعد فكل طرف في الميدان له من يحركه من خارجه، حيث ظروف ومتطلبات الحرب تستوجب ذلك، وهناك أطراف تبحث عن موطئ قدم وتحاول استمالة فصائل من الفصائل لتتبناه وتفاوض به، كما أن طبيعة التركيبة العرقية وما تحتويه سوريا من أقليات كانت تعيش في سلام قبل زرع نعمة الحرب والانفصال بينها، كل تلك الأمور لا تنفي موقف الأطراف السورية وتشبثها بمطالبها في إقامة دولة سورية موحدة بنظام مدني ديمقراطي، غير أن ذلك رهين بمدى توافقها فيما بينها أولاً ثم مع اللاعبين الدوليين ثانياً.

لقد عارضت الدول الغربية وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا بقاء الرئيس بشار الأسد ودعته إلى ترك الحكم، غير أن الولايات المتحدة لم تكن متحمسة لذلك أو حتى للتدخل فعلياً في الأزمة السورية، وهو ما ظهر غريباً على الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت من أشد المعارضين لنظام الأسد من الأب إلى الابن، حيث اتهم بعض المحليين الولايات المتحدة الأمريكية بمحاولة الاستفادة من الأزمة السورية لإضعاف الجيش السوري وتفتيت سوريا وتحويلها إلى دولة ضعيفة وفاشلة لا تهدد الأمن الصهيوني، خدمة للتوجهات الإسرائيلية، ولو أن الولايات المتحدة كانت جادة في إسقاط نظام الأسد لقامت بتحالف دولي وأسقطته بموافقة مجلس الأمن أو عدم موافقته كما حصل في مناسبات عديدة، غير أن روسيا نزلت بكل ثقلها ووجهت أسطولها اتجاه سوريا وحشدت قواتها العسكرية، كما صرح وزير الخارجية الروسي عن

^{٥١} - Guerre en syrie : ce qu'il faut pour retenir du plan de paix adopté par l'ONU.

طريق الناطق الرسمي باسم خارجيته، أن مصير الوضع في سوريا سيرسم طبيعة خريطة النظام الدولي الجديد، إن الرؤى المتباعدة حول المسألة السورية تُنذر بتغيير الخريطة الجيوسياسية في المنطقة وليس تغيير النظام فقط^{٥٢}.

خلافًا للفكرة السابقة فإننا نبرر عدم التدخل الأمريكي المباشر بسبب سياسة الرئيس الأمريكي الجديدة في إدارة الصراعات الخارجية، خصوصًا بعدما كلفته "الحرب الأمريكية على الإرهاب" من ميزانية ضخمة وخسائر بشرية، كذلك هي رسالة للدول الأخرى من أجل تحمل مسؤوليتها في الصراعات الدولية وتبيان أهمية الولايات المتحدة الأمريكية للغرب الذي لم يستطع التحرك أمام التدخل الروسي العسكري المباشر في سوريا، إن الحل السياسي للأزمة السورية مقرون بتفاهم الطرفين الأمريكي والروسي بشكل ممثلي الدول الكبرى في الصراع المتجدد شرق غرب، دون إغفال أهمية التوافق السعودي التركي مع إيران من أجل وضع حد للصراع بينهما على الأرض السورية، فمن أجل إيجاد حل سلمي للوضع في سوريا يجب تسمية الأشياء بمسمياتها، وضمان مصالح الأطراف الخارجية والداخلية في الصراع.

إن الأطراف الخارجية المنخرطة في الصراع في سوريا لم تتمكن من تحديد رؤية موحدة للحل في سوريا، كما أن محفزات الحل غير موجودة، خاصة أن روسيا الحلقة الأضعف في المفاوضات تحبذ أن يتم بحث موضوع "الإرهاب" دون طرح موضوع مصير بشار الأسد، بل تطرحه كجزء من أي حل سياسي مستقبلي، ذلك يعني أن الظروف المناسبة للحل لم تنضج بعد، بالإضافة لعدم قدرة الرعاة على وضع تصورات متماسكة وآليات قادرة على إنجازه، كما أن التخوف الذي تطرحه فشل المفاوضات وعدم التوصل إلى حل سياسي بين الأطراف الكبرى، هو انعكاس ذلك على ميدان الحرب ووقعه على الشعب السوري وكذلك تباعد المعارضة السياسية مع المعارضة المسلحة، وتقوية الجماعات المسلحة المتطرفة، فعلى المستويين الدولي والإقليمي يُتوقع أن تتجه الأطراف الخارجية إلى حالة من إدارة الصراع والتقليل من درجة انخراطها التسليحي والمالي، وخاصة في ظل تراجع أسعار النفط، فأمريكا يجب عليها أن تظهر بعض الليونة

تجاه بقاء الأسد، وكذلك روسيا عليها أن تفتح خطأ تحاورياً مع المعارضة السياسية والمسلحة، وأن تستقل عن خط إيران وأهدافها في سوريا كمدخل للحل السياسي للأزمة السورية^{٥٣}.

وراء الصراع الغربي-الروسي في سوريا حول المصالح والمواقع الاستراتيجية، تظهر حرب أخرى مذهبية سنية-شيعية بزعمامة المملكة السعودية وإيران، حيث توغلت إيران في المنطقة بعد استباحتها للعراق إبان العدوان الأمريكي عليه عام ٢٠٠٣، فاستغلت إيران الفراغ الأمني والعسكري وغياب مؤسسات الدولة من أجل استمالة شيعة العراق لصالحها حيث قدمته لها الولايات المتحدة الأمريكية على طبق من ذهب، لقد استشعرت المملكة السعودية محاولة إيران محاصرتها من الجنوب والشرق والشمال في كل من اليمن والعراق والبحرين ثم سوريا، الشيء الذي جعل السعودية تتدخل مباشرة في اليمن والبحرين وتتبنى فصائل سنية داخل سوريا وتدعمها بالمال والسلاح، وكذلك بدأ تشكل حلف بين السعودية وتركيا وبعض دول الخليج لتشكيل قوة ضاغطة على الدول الكبرى من أجل كبح جماح التدخل الإيراني في سوريا، وإجبار المجتمع الدولي على تسريع وتيرة المفاوضات بين الأطراف في سوريا، وبالتالي فأى حل لا يشمل تسوية بين القطبين الإقليميين لن يكون ذي جدوى، فمع أي تسوية بين الدول الكبرى يجب أن تكون هناك تسوية سنية شيعية من أجل قيام دولة سورية مدنية تتسع لجميع الطوائف الدينية والأقليات العرقية.

خاتمة:

من خلال دراستنا للأزمة السورية نجد أنها أخذت منعطفًا دوليًا فرضته ظروف إقليمية تتمثل في تواجدها بجوار دولة فاشلة ومليئة بالصراعات وهي العراق، وكذلك الصراع الطائفي في المنطقة بين السنة والشيعة ومحاولة الاستقطاب التي تفرضها الدول المعنية في ذلك الصراع، خصوصًا المملكة العربية السعودية وإيران، كما أن التدخل الروسي المباشر والتواطؤ الدولي حول الشعب السوري، جعل سوريا تتحول إلى ساحة حرب تتبارز فيها جماعات مسلحة ومليشيات بأجنادات دول أخرى، حرب خربت ودمرت وشردت ولم يُحترم فيها ولو أبسط شروط المعاملة الإنسانية، والتمن يدفعه الشعب السوري من دمائه.

إن من يضع مقارنة بين التدخل الدولي في ليبيا وعدم حدوث ذلك في سوريا، نقول له ماذا استفاد الشعب الليبي من ذلك التدخل، غير قتل الرئيس الليبي "معمر القذافي" في أقرب وقت حتى تدفن معه أسرار رؤساء العالم، وتقسيم ليبيا إلى مقاطعات متقاتلة فيما بينها، كما أن قرب ليبيا من أوروبا وتوفرها على أسلحة قد تصل إليها عجل من التدخل الدولي هناك، وحظر الطيران وغير ذلك من الإجراءات التي ساعدت على الحد من قوة الجيش الليبي، ناهيك عن الاستفادة من النفط الليبي بأثمان أقل من سعرها الحقيقي، فالعبة الدولية اختلفت من ليبيا إلى سوريا والهدف الذي تحقق في كلا البلدين، هو تدمير الدولتين ثم البحث عن الحل السياسي.

التوصيات:

- وقف إطلاق النار الفوري من قبل جميع الأطراف وفتح المجال للحوار، وفتح ممرات إنسانية تمر فيها المساعدات للبلدات المحاصرة.
- تأسيس لجنة وطنية يشارك فيها ممثلون عن جميع أطراف الشعب السوري؛ من أجل بحث سبل تأسيس دولةٍ بدستور مدني ديمقراطي، بعيدًا عن نظام "المحاصرة" أو التعصب الطائفي.

- إجبار أطراف النزاع على التفاوض وفرض عقوبات دولية عليها من طرف الأمم المتحدة، وعلى الدول التي تتعامل مع التنظيمات المتطرفة في سوريا.
- تدخل الجامعة العربية ومنظمة التعاون الإسلامي، من أجل تقريب وجهات النظر للأطراف المتناحرة وتوحيد المعارضة السورية.
- تحمّل مجلس الأمن لمسؤوليته تجاه الشعب السوري، ورجوعه إلى لعب دوره الطبيعي في حفظ السلم والأمن الدولي، وتقديم المسؤولين عن الجرائم ضد الإنسانية في سوريا وعلى رأسهم الرئيس "بشار الأسد" إلى العدالة الدولية.

لائحة المراجع:

الكتب:

- باتريك كوكبيرن، "داعش عودة الجهاديين"، دار الساقى، ترجمة ميشلين حبيب، الطبعة الأولى ٢٠١٥.
- د. يوسف البحيري، نظام الأمم المتحدة في مواجهة تحولات الربيع العربي، المطبعة الوطنية مراكش، طبعة أولى ٢٠١٢.
- د. فتيحة ليتيم، نحو إصلاح منظمة الأمم المتحدة لحفظ السلم والأمن الدوليين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى أبريل ٢٠١١، بيروت.

الدوريات:

- نوار جليل هاشم، أمجد زين العابدين طعمه، "الموقف الروسي من الثورات العربية (ليبيا، مصر، وسوريا نموذجاً)"، سياسات عربية، العدد ١٢ يناير ٢٠١٥.
- د. إدريس لكيني، "ما هي أسباب استعصاء حل الأزمة السورية؟"، اتجاهات الأحداث، دورية أكاديمية تصدر عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة الإمارات، عدد ١٤ أكتوبر ٢٠١٥.
- مروان قبلان، "صعود تنظيم الدولة الإسلامية وتحولات النظام الإقليمي في المشرق العربي"، مجلة سياسات عربية، عدد ١٢-٢٠١٥.
- د. ميشيل كيلو، رهانات صعبة: حسابات موسكو تجاه الصراع في سوريا، مقال منشور على مجلة السياسة الدولية عدد ١٩٥ يناير ٢٠١٤.

- إيمان رجب، **حدود التأثير: الأطراف الخارجية وأنماط التدخل في الصراعات الداخلية**، مقال منشور على مجلة السياسة الدولية عدد ١٩٥، يناير ٢٠١٤ المجلد ٤٩.
- محمد عبد الحفيظ شيخ، **"أبعاد التدخل الإنساني للأمم المتحدة في أحداث الثورات العربية (ليبيا وسوريا نموذجا)"**، المجلة العربية للعلوم السياسية، عددا ٤٤٣ و٤٤٤ صيف خريف ٢٠١٤ ص ١٣٨.
- د. خطار أبو دياب، **"الفوضى الاستراتيجية: النزاع السوري واحتمالات "التفكك" في المشرق العربي"**، السياسة الدولية، العدد يناير ٢٠١٤، المجلد ٤٩.
- محمد المصري، **"اتجاهات الرأي العام في المشرق العربي نحو الأزمة السورية"**، مجلة سياسات عربية، عددا، مارس ٢٠١٣.

الدراسات:

- **الحرب الروسية في سوريا: الأسباب والمآلات**، دراسة منشورة على موقع مركز الجزيرة للدراسات، ١٢ أكتوبر ٢٠١٥. <http://studies.aljazeera.net>
- أسامة الكوشك، **"الخارطة العسكرية للمعارضة السورية في الجنوب"**، مركز الجزيرة للدراسات، ٣ ديسمبر ٢٠١٥.
- رشاد القطان، **"معضلة المعارضة السورية: مكاسب عسكرية بلا أفق سياسي"**، تقرير منشور على موقع مركز الجزيرة للدراسات.
- **"تنظيم "الدولة الإسلامية": النشأة، التأثير، المستقبل"**، ملف منشور على موقع مركز الجزيرة للدراسات، نوفمبر ٢٠١٤.

المقالات الصحفية:

- تفاقم أزمة اللاجئين السوريين بعد هجوم حلب، مقال صحفي منشور على موقع الجزيرة للأخبار، بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠١٥ [www.aljazeera.net /news](http://www.aljazeera.net/news)
- كم عدد المقاتلين الأجانب الذين ذهبوا إلى القتال في سوريا؟، مقال صحفي نشر على موقع BBC عربي، ٢ أغسطس ٢٠١٥. [www.bbc.com /arabic](http://www.bbc.com/arabic)
- سامر إلياس، "وقف الحرب مفتاح حل أزمة اللاجئين السوريين"، موقع روسيا اليوم الإخباري، بتاريخ ٥ / ١٠ / ٢٠١٥. [https: //arabic.rt.com /news](https://arabic.rt.com/news)
- فاتورة التدخل الإيراني في سورية ترتفع وجنرالاتها يتساقطون تباعا، مقال منشور على موقع العربي الجديد، بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ٢٠١٥ www.alaraby.co.uk
- ستيفن أوبراين، وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، مركز أنباء الأمم المتحدة ١٤ / ١٢ / ٢٠١٥. [www.un.org /arabic](http://www.un.org/arabic)
- عمر كوش، "ممكنات حل سياسي قريب في سوريا"، مقال منشور على موقع الجزيرة بتاريخ ٧ / ٣ / ٢٠١٥. [http: //www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
- أسهمان الغامدي، "مقال صحفي جريدة الرياض حول مؤتمر الرياض"، ١٩ ديسمبر ٢٠١٥. [http: //www.alriyadh.com](http://www.alriyadh.com)
- الاقتصاد السوري بعد أربع سنوات من الثورة، ١٤ / ١٠ / ٢٠١٥. [http: //www.aljazeera.net /multimedia /infograph](http://www.aljazeera.net/multimedia/infograph)

– محمود معروف، مصادر أمريكية: المقاتلات المغربية تشارك في الهجمات التي يشنها التحالف على "داعش" في سوريا والعراق، مقال صحفي منشور على موقع القدس العربي، بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠١٤.
www.alquds.co.uk

– الأزمة السورية: دليل الجماعات المسلحة في سوريا، مقال صحفي، بتاريخ ٢١ يناير ٢٠١٤.
www.bbc.com/arabic

القرارات:

– قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤ المتعلق بالأزمة السورية، بتاريخ ١٨ ديسمبر ٢٠١٥.

المراجع الأجنبية:

- Voyage au bout de la terreur, Interview avec le journaliste du Spiegel Christoph Reuter, Courrier international hors série octobre–novembre 2015.
- Mikhaïl Rostovski , « En intervenant, Poutine prend un risque majeur » , Syrie une Guerre Mondiale, Courrier international n° 1301 du 8 au 14 Octobre 2015.
- Qui bombarde qui ?, courrier international n° 1301 du 8 au 14 octobre 2015.
- Guerre en syrie : ce qu'il faut pour retenir du plan de paix adopté par l'onu, Article publié sur l'express, Le 18 /12 /2015.
- Peter HARLING, Chercheur pour l'International Crisis Group, « Etat islamique un monstre providentiel », Le monde diplomatique septembre 2014.

- L'économie syrienne transformée par la guerre, soutenue par les alliés, Le parisien, 12 mars 2014.
- Antonio Guterres, « la syrie cessera d'exister » si aucun accord de paix n'est conclu, Haut commissariat des Nation Unies pour les Réfugiés. www.newspress.fr 04 / 01 / 2016.
- Le point sur l'intervention militaire Russe en Syrie, Article publié sur le journal Le Monde avec AFP et Reuters, 7 / 10 / 2015 www.lemonde.fr.
- les « combattants terroristes étrangers » et le droit international humanitaire. Article publié sur le site web <http://dommagescivils.wordpress.com> le : 17 / 3 / 2015.

المواقع الإلكترونية:

www.ar.m.wikipedia.org/wiki

www.aljazeera.net/news

<https://arabic.rt.com/news>

www.alaraby.co.uk

www.alquds.co.uk

<http://www.alriyadh.com>



[www.bbc.com /arabic](http://www.bbc.com/arabic)

[http: / /dommagescivils.wordpress.com](http://dommagescivils.wordpress.com)

www.newspress.fr

www.lemonde.fr

[www.un.org /arabic](http://www.un.org/arabic)

[http: / /www.unhcr-arabic.org /534fadab6.html](http://www.unhcr-arabic.org/534fadab6.html)